أُرسلوا قبله، وهُمْ (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى) وأنه ثم جاء ليشرح تعاليمهم ويوضح ما التبس منها، ويتوجها ويكملها.

والواقع أنّ مانى وضع نظرية كونية تاريخية بنى عليها دينه الذي اقتبسه من منابع مختلفة. فهو يرى أنّ الأوقات ثلاثة: (الماضي، والحاضر، والآخر). ويشرح حال هذه الأوقات الثلاث ويذكرُ ما حصل فيها، بما مخلاصته:

أمّا الماضي: فقد خلق الله الكونَ من عالمين مُتناقضين (النُّور، والظُّلمة) وأسكنَ الملائكة في النُّور، والشياطينَ في الظُّلمات، والعالمان مُنفصلان كلَّ الانفصال، وبينهما حدودٌ. ففي الشمال مملكوتُ النُّور يسودُ فيه ذو العظمة الإلهُ الخالد. وفي الجنوب مملكوتُ الظُّلمة وهي مادّةٌ محضٌ.

شاهدَ إبليسُ مملكوت النُّور والملائكة فحسدهم، وأرادَ أنْ يستولي على مملكتهم، وبما أنّ خالق الكون في جوهره غير مُقاتل، وملائكته أصحابُ سلام، فقد خلق الله الرَّجُلَ الأول ليقاتل الظُّلمات، وقاتل الإنسانُ الأولُ الشيطانَ فلم يقدرْ عليه، وقُهِرَ أمامه، فبعث إليه النُّورُ رسولا آخر تغلّبَ على الشيطان. على أنّ الإنسان ثأرَ بقتله الشيطان فدخله شيءٌ من الظلام.

واستطاع إبليسُ أنْ يحبسَ كميةً كبيرة من الجواهر النُّورانيّ، هذه الكميّة يجبُ استخلاصُها منه ومن بدِ أتباعه، وهكذا نعلمُ إنّ النُّورَ حيثما عاملا يحرّرُ هذا الجوهرَ. فكوّنَ الشمسَ والقمرَ مما استخلصَ من الشياطين، وخلقَ الأرض، واستخدمَ لخلقها جُسّادا من الشياطين. هذا هو الماضي عند (مانى).

أمّا الحاضرُ: فيتّصلُ بالإنسان الحالي، وهذا الإنسانُ الحالي ولد من قطع النُّور التي حبستها الشياطينُ في طرف الجسمِ. فعليه إذن أنْ يُنقذ نفسه من ظُلمة جسمه. فيقهره ويعود نورا، والعالمُ مُكوّنٌ من قوّتين: قوّة النُّور وهي قوّة الخير، وقوّة الظلام وهي قوّة الشرّ، والمادّة ظلامٌ فهي شرٌّ، ويجبُ على الإنسان أنْ

بقهرها، ويكون قهرها وغلبتها بالزُّهد بها، والابتعاد عنْ الشَّهوة الجسديّة، لكنّ قهرها ليس سهلا، والنّاسُ متفاوتون في القدرة على غلبتها، فهم ثلاث طبقات:

أولا: طبقةُ الأصفياء الأبرار، وهؤلاء قادرين عليها، فيجبُ عليهم أنْ يتزهّدوا، ولا يتزوّجوا، ولا يطلبوا المادّة أبدا، فلا يقتنوا شيئا.

ثانيا: طبقة المستمعين، وهؤلاء أقلُّ قدرة من الأصفياء على نبذ المادّة، فعليهم أنْ يمتنعوا عنْ الملذّات الجسميّة ما أمكنهم. وعليهم أنْ يمتنعوا عنْ القتل والزّنى.

وبما أنّ الطّبقة الأولى يجبُ أنْ تبقى بعيدة عنْ المادّة فعلى المُستمعين أنْ يقدّموا لها المَعيشة والحياة، وكلّما تحرّر قسمٌ من النّور علقت ذرّاته فحنّت في الشّمس والقمر حيث تصفو، ويبقى في طبقة المستمعين الظّلام. لكنّها تقدرُ أنْ تمحوا وتأتي عليه حين تمنح فتصبح نوعا من طبقة الأخيار.

ثالثا: طبقةُ المذنبين، وهذه هيَ الطّبقة التي يبقى الظّلام فيها، وهي التي تزول أرواحها إلى النّار. بهذا شرح (مانى) الحاضر.

أمّا المستقبل: فيأتي عندما تستخرجُ الأنوارُ من الأرواح البشريّة. عندئذ يشتعلُ العالمُ شعلة كونيّة، ويعودُ الانفصالُ بين المملكونين كما كان.

يظهرُ ممّا تقدّم أنّ المانويّة مزيجٌ من (اليوذيّة، والزّردشتيّة، والنّصرانيّة) أخذت بصفة خاصّة عنْ الزّردشتيّة تصوّرها بين الخير والشّر، بين (أهورا مزده، وأهرمان).

عرفت هذه الدّيانةُ من نصوص قديمة اكتُشفت في تركستان، وفي الفيوم بمصر.

انتشرت المانويّة لأنّها كانت تفسيرا تاريخيا للأديان المتقدّمة مع عنايةٍ بالزّهد والتّقشّف.

وأخفقت لأنها كانت نبوية فهي لم تستطع أن تتلاءم مع التوحيد الذي انتشر في بلادها الأولى.

البابُ الثّاني

في الأَدْيانِ الكِتابيَّةِ أَوْ المُنزَلَة

الفصل الأَوَّل : الدِّيانَةُ اليَهودِيَّة

الفصل الثّاني : الدِّيانَةُ النَّصْرانِيَّة

تمهيد:

بدأ الدين مع هبوط آدم إلى الأرض. وذلك أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام، وجعله خليفته في الأرض. وأخبر الملائكة بذلك. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فنزل التساؤل في نفوسهم عن الحكمة من ذلك. وسألوا ربَّ العالمين: ﴿قالوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟﴾ [البقرة: ٣٠] فأجابهم ربُّ العالمين ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وكرَّم الله تعالى بني آدم. وخلقهم في أحسن تقويم. وسخر لهم ما في السماوات والأرض. ولم يخلقهم عبثاً. ولم يتركهم سُدى. وإنما أمدَّهم بحبل من السماء. وبيَّن لهم طريق النور والهداية. وأنزل عليهم الوحي. واصطفى منهم أنبياء ورسلاً. وأوحى إليهم بالكتب والصُّحُف والشرائع والأحكام. ليهتدوا بها. ويسيروا على هُداها. ويسلكوا الصراط المستقيم. صراط الله العزيز الحميد، وطريقه القويم.

ولا يعلم عدد الأنبياء والرُّسل إلا الله تعالى. وذكر القرآن الكريم منهم خمسة وعشرين رسولاً.

وقد أنزل الله كُتُباً كثيرة. ذكر لنا القرآن منها:

= **التوراة** التي أنزلها الله تعالى على سيدنا موسى.

= **والزبور** التي أنزلها الله تعالى على سيدنا داود.

= **والإنجيل** التي أنزلها الله تعالى على سيدنا عيسى.

= **والقرآن** التي أنزلها الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ.

= وصُحُف إبراهيم وغيرها.

ولم يبقَ من الرسالات المُنزَّلة إلا (اليهودية - والنصرانية - والإسلام)، ولسمّي (الرسالات السماوية) ويدرُسُ الطالبُ في مقرّر (العقيدة) الدِّين الإسلاميّ، ويدرُسُ في مقرّر (الفِرق والأديان): (الفِرق الإسلامية) إلى جانب دراسته: (اليهودية، والنصرانية) ولسمّى: الأديان الكتابية[1].

وقد طرأ على هاتين الرسالتين عبرَ التاريخ وقبل بعثة محمد ﷺ تطوُّراتٌ وتغييراتٌ، وحلّت عليهما بعضُ العوارض، منها ما ذكرَهُ القرآنُ الكريمُ، عند حديثه عنْ اليهود، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هادوا يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلوهُ وَهُمْ يَعْلَمونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَنَسوا حَظّاً مِمّا ذُكِّروا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] وغير ذلك مما ورد في [البقرة: ٤١ - ٥٩]، [الأعراف: ١٦٢]، [إبراهيم: ٢٨]، [الفتح: ١٥].

وقال رسولُ الله ﷺ: «لا تُصدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تُكذِّبوهُمْ، وقولوا: ﴿آمَنّا بِاللهِ وَما أُنزِلَ إِلَينا﴾»[2] [البقرة: ١٣٦]

وقد أكّدت الدراسات العلمية والتاريخية الحديثة وقوع التحريف والتبديل في

---

(١) المسلمون أن الدين الذي أنزله الله عز وجل على جميع أنبيائه عليهم السلام هو الإسلام، وهو الدين الذي بعث به جميع الأنبياء والمرسلين، واختلاف الشرائع، واختلاف العقائد بعدهم طرأ عليه من تحريف وتبديل.

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» ١٣٦٢.

الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، وأنّ الأناجيل الموجودة الآن، المنسوبة إلى (متى ولوقا ومرقص ويوحنا) هي من وحي كتّابها. جاء في تعاليم المسيحيّة أنّها بإلهام لهم من روح القدس، فقالوا: (الإلهام فهو عون روحيّ من قبل الروح القدس، بحيث الكاتب أنْ يعبّر عمّا يريد الله أنْ يطّلع الناس عليه من الحقائق الدّينيّة الضروريّة، خلاص نفوسهم)[1]. وقالوا: (إنّ الله هو الذي ألهمهم مختاريه في تدوين الكتاب المقدّس..... وكون الكتاب المقدّس بإلهام لا يعني أنّ الروح القدس أملاه على الكاتب حرفاً حرفاً وكلمة كلمة. ولا أنّه صحّح المعلومات الطبيعيّة والجغرافيّة والتاريخيّة التي كان الكاتب قد استقاها من بيئته. بل تركه يستعين بتلك المعلومات الطبيعيّة ليعبّر بها عن مقاصد الله بأسلوبه الشخصيّ)[2].

ويقولون: (إنّ الكتاب المقدّس هو من صنع الله ومن صنع الإنسان معاً. كلٌّ بحسب مرتبته. فالله هو واضعه الرئيسيّ، وأمّا الإنسان فأداته الفاعلة الواعية والأمينة. فالله مثلاً هو الواضع الرئيسيّ للإنجيل بحسب (لوقا). أمّا (لوقا) فكان أداته الواعية)[3].

ولكنّ هذا التحريف والتبديل لم يأت على جميع عقائد هاتين الرسالتين، ولم يبدّل جميع الأحكام المنزّلة. لذلك جاء في الحديث الشريف السابق - في رواية أبي داود - (ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم. وقولوا: آمنّا بالله ورسله. فإنْ كان باطلاً لم تصدّقوه. وإنْ كان حقّاً لم تكذّبوه)[4]، وبقيت عندهم بعض العقائد الصحيحة، ذات الأصل الصحيح. كما بقي لديهم

---

(١) نقلاً عن دائرة المسيحية. تحت كلمة الوحي. ص٩.

(٢) المرجع السابق. ص ١٣.

(٣) المرجع السابق ص ١٣.

(٤) أبو داود في أول كتاب العلم. باب. رواية حديث أهل الكتاب ٣: ٣١٩.

أثارَ كثيرةً من الأحكامِ السَّماويَّة. ولمَّا جاء الإسلامُ وجد (صعيداً مُشْتَرَكاً) طيِّباً بين عقلَيْن اثنَيْن وبين الإسلام. فسمَّاهُم القرآنُ (أهلَ الكتاب) واتَّجه القرآنُ الكريمُ في آياتٍ كثيرةٍ لمخاطبة أهلِ الكتاب لتحريك نوازع الفطرة والإيمان في قلوبهم، وأنَّهُم أولى النَّاس بقبول الإسلام، وتصديق رسول الله ﷺ. فمن ذلك الآيةُ الجامعةُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقولوا اشْهَدوا بِأَنَّا مُسْلِمونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ولئن لفيفٌ كبيرٌ منهُم فعلا دعوة القُرآن، وانضوى تحت ظلال الإسلام، وبقيَ أكثرُهم على دينهم، فعاملهم الإسلامُ معاملة خاصَّة، وميَّزهم عن المشركين من عبدة الأوثان والأصنام، ومنحهم لقب (أهل الذِّمَّة) لأنَّ المُسلمين أعطوهم ذمَّة الله ورسوله، وعاهدوا معهم بالعيش بسلام وأمن في الوطن الواحد، وتحت راية دولة واحدة، وتحدَّدت العلاقةُ بعقد الذِّمَّة، وعاشوا عبر التَّاريخ الإسلاميّ مع المُسلمين، وفي أرض المُسلمين إلى يومِ النَّاس هذا[1].

الدِّينُ واحِدٌ والشَّرائعُ متعدِّدةٌ:

ولا بُدَّ من التَّنبيه هنا أنَّ دعوة الرِّسالات السَّماويَّة جميعها ودعوة الرُّسل والأنبياء جميعهم واحدة، إذْ هي جميعا متَّفقة في العقيدة أصولا وفروعاً، وأنَّ الأنبياء والمُرسلين منذُ أوَّل الأنبياء والبشر (آدم)، إلى خاتم الأنبياء والمُرسلين (مُحمَّد رسول الله)، كانوا يدعون إلى عبادة الله وحدَه واجتناب الطَّواغيت،

---

(١) ألَّف العلَّامةُ ابنُ قيِّم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) كتاباً جامعاً في بيان أحكام أهل الذِّمَّة وحقوقهم بعنوان (أحكام أهل الذِّمَّة) حقَّقه الدكتور صبحي الصَّالح، وطبعته جامعة دمشق سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م، كما ألَّف الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب رسالة دكتوراه في هذا الموضوع بعنوان (أحكام الذِّميِّين والمستأمنين في دار الإسلام) طبعت في بغداد سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

والاستسلام لله وحده، وعدم الإشراك به، والدخول في عبادته وطاعته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولا أَنِ اعْبُدوا اللهَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيديهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلا تَعْبُدوا إِلا اللهَ﴾ [فصلت: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدوا إِلا إِيّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال عز وجل: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدوا إِلا إِيّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ المَصيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولكنّ هذه الرّسالات تختلف فيما بينها في الأحكام التشريعيّة التي أنزلها الله تعالى لتحقيق مصالح النّاس في الدّنيا والآخرة، وبما يُصلح معاشهم ومعادهم، ولمّا كانت المصالح تختلف من قوم إلى قوم ومن أمّة إلى أمّة، ومن مُجتمع إلى آخر، ومن زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، اقتضت حكمة الله تعالى أن يُشرّع للنّاس ما يُناسبهم في ذلك، فاختلفت الأحكام في بعض جوانبها، وتعدّدت الشّرائع السّماويّة، وهذا ما يُعرف بـ(وحدة الأديان وتعدّد الشرائع)، إلى أن نسخ الله تعالى جميع الشّرائع السّابقة بالإسلام، وجعله الدّين الخالد، والشّريعة الباقية إلى يوم الدّين، واختاره لعباده، ورضيه لهم دينا، لقوله تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً﴾ [المائدة: ٣].

صعوبة البحث في تاريخ الأديان:

تاريخ الأديان بحث شائق واسع يقتضي تكريس الجهد لوضعه الوضع الصّحيح، والأديان كثيرة لا يُمكن حصرها في بحث كبحثنا الموجز هذا، ولا في

أوسع منه.

ولو كان هناك متسعٌ من الوقت لأمكن البحثُ عن الديانات الابتدائية من طوطميّة وغيرها... وعن الديانات التي تعبد فيها مظاهرُ الطبيعة والحيوانات والنباتات والجمادات. لكنّا سنقتصرُ في بحثنا هذا على الأديان التي تأخذ من معين متشابه... تلك هي الأديانُ التي تنظرُ إلى الإله على أنّه ربٌّ مجردٌ عن الكائنات الحيّة والجمادات والظواهر الطبيعيّة. وهذه الديانات هي: (اليهوديّة، وفكرة أخناتون، والزرادشتيّة، والمسيحيّة واليوذيّة، والكونفشيّة...) وما يتبعها من الأديان.

قلنا إنّ البحث عن الديانات عامّة صعبٌ. ونعود فنقول: إنّ بحثنا هذا ما هو إلا مقدّمة وابتداء. فيجب أن يستمرّ البحث، وأن يوسّع، وأن يكون أدقّ وأحكم.

وسوف نبحث هنا الأديان الكتابيّة أو المنزّلة. وهما الدّينُ اليهوديّ، والديانة النّصرانيّة. وذلك في فصلين.

الفصل الأول

الدّيانة اليَهودِيَّة

- أولاً – التاريخ اليهودي
- ثانياً – الكتبُ المقدّسةُ لليهودِ
- ثالثاً – أنبياءُ اليهودِ
- رابعاً – الرَّبانيُّونَ وعقيدة اليوم الآخر
- خامساً – الشريعة واليهود
- سادساً – فرق اليهوديّةُ المعاصرة
- سابعاً – الحركةُ الصُّهيونيّة

مدخل

الديانة اليهودية أقدم دين من النوع الذي نريد أن نبحث فيه...

ونعترض لبحثنا عن اليهودية صعوبات. فاليهودية كما نعلم أوحيت إلى أنبياء بني إسرائيل ديانة توحيدية. غير أن اليهود أنفسهم لم يكونوا في كل عصورهم موحدين ونحن يأخذون بالتوحيد دوما. ومن هنا يبدو بعض الالتباس.

ثم إن اليهودية في تطورها مع الأنبياء ديانة فيها ناسخ ومنسوخ. أو فيها أشياء جديدة تضم إلى القديم. لكن اليهود لا يعترفون بالناسخ والمنسوخ، ولا يعترفون بالضم.

ونعترض لمدرج الديانة اليهودية خلال التاريخ صعب وشاق، لأننا لا نتبين كل التبين مراحل التاريخ بوضوح. وليس عندنا في الأبحاث التي كتبها أهل الملل والنحل فكرة واضحة عن تاريخ اليهودية. وعلينا في معظم الأديان أن نرجع إلى علماء الأديان المقارنة الذين ينظرون إلى الأديان لا على أنها سماوية موحى بها من الله سبحانه وتعالى، بل من صنع البشر. هذا وأقوالهم مبنية على الشك والريبة ووجود الاحتمال. فليست إذا علمية صرفة. على أننا ينبغي أن نستفيد من الأشياء الثابتة التي أظهرها التاريخ في اكتشافاته وحفرياته. وبكل ذلك يفتح أمامنا باب السؤال كبيرا. والصعوبات نرى في ذلك.

ولكي يكون البحث واضحا لا بد لنا:

= من ذكر جانب من تاريخ اليهود في تطوراته السياسية والاجتماعية.

= ثم عرض الكتب المقدسة التي يعتمدون عليها.

= ثم ذكر أنبيائهم، مبتدئين بإبراهيم عليه السلام فموسى عليه السلام فالآخرين.

= ونذكر خلال ذلك عقيدتهم وما آلت إليه فكرتهم عن اليوم الآخر.

= ثم نستعرض عادات اليهود وشرعهم.

= ثُمَّ نَعْرِضُ لِفِرَقِهِم والإصلاحِ الذي تلاوَنَه بَعْضُ مُصلحيهم في القرن الثامن عشر.

أولاً - التاريخ اليهودي:

ينسبُ اليهودُ أنفسَهُم إلى (إسرائيل) فيقولون عَنْ أنفسِهِم: إنَّهُمْ إسرائيليون، وإسرائيلُ هو (يعقوبُ) بْنُ إسحاقَ بْنِ إبراهيم) فـ(يعقوب) اسمان هما: (إسرائيل) و(يعقوب). ويقالُ للإسرائيليين أيضا (يهود) و(عبريون) فإبراهيمُ على هذا هو جدُّ اليهود. وفي الوقتِ نفسه هو جدُّ (العرب المستعربة) إسماعيل ابن إبراهيم، وإبراهيمُ عليه السلام هو ابن (تارح) وكانَ أبوه يسكنُ (أور) مِنْ كلدان. ثُمَّ انتقلَ وابنُه إلى (حرّان) فأقاما فيها. وهناكَ عرفَ إبراهيمُ ربَّه، وتلقَّى منه كلمات، ووَعَدَه بشعبه بالأرضِ المقدسة. فسُرَّ لهذا الوعد ونزلَ حرّان...

ثُمَّ إنَّ قسما من اليهود استقرُّوا في (غوش) شمالَ شرقيِّ مصر. وانتشروا فيها ومضى عليهم الزَّمنُ فاضطهدهم (رعمسيس الثاني) كثيرا حتى قادهم موسى إلى خارجِ مصرَ إلى الأرضِ الموعودة.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تعالى ألقى بكلماته إلى موسى عليه السَّلامُ في طورِ سيناء، فأتى بها قومَهُ... لكنَّ قسما منهُم لم يتَّعظْ بها وخالفَها واعتدَّ بهم لقيهُ عددا كبيرا من السنين... ثُمَّ إنَّهم وجدوا أنفسَهُم في حالةٍ يستطيعون فيها الهجوم على (كنعان) التي كانت تُقيمُ ما يُعرفُ اليومَ بأرضِ (فلسطين) وفتحوها واستقرُّوا فيها... إلا أنَّهُم حاربوا عندَ ذلك عدوا لدودا. حاربوا الفلسطينيين مدَّةً طويلة... وأرادوا أنْ يكونَ عليهم ملكٌ يقودُهم. فأصبحَ ملكُهُم (شاؤول)[1] وحاربَ الفلسطينيينَ وأفلحَ في أوَّلِ الأمرِ. لكنَّهُ عادَ فهُزِمَ أمامهم واستولى على الحُكمِ مكانَه (داوود)

(١) وقد ورد ذكره في القرآن الكريم.

فحارب الفلسطينيين، وقتل جالوت، وحكم اليهود. ثمّ خلفه ابنه سليمان، وتوسّع الملك في عهد سليمان توسّعاً كبيراً، وكثرت الأموال، وبنى (سليمان) الهيكل...

بعد وفاة سليمان أصاب الوهن إسرائيل، فانقسمت قسمين؛ قسم في الشمال، وقسم في الجنوب: أمّا دولة الشمال: فسُمّيت (دولة إسرائيل). وأمّا دولة الجنوب: فسُمّيت (دولة يهوذا).

وكانت دولة الجنوب أقوى من دولة الشمال... واستمرّ القتال بين الدولتين خلال قرنين من الزمن. وفي عام (٧٢٢ ق.م) افتتحت يهوذا دولة إسرائيل، ودخلوا عاصمتها. ونفي أكثر أهلها. وحصل توحيدٌ بين المملكتين غير أنّ يهوذا ما لبثت أن وقعت تحت نير (الآشوريين) ثمّ (المصريين) وهم (البابليون) هيكل سليمان العظيم. وفرّ الشعب اليهوديّ من أرضه. ولم يعد الإسرائيليون إليها إلا في عهد (فورس) وأصبحوا أقوياء في عهد اليونان، على أن القدس هُدمت عام سبعين للميلاد (٧٠م).

ومن ذلك التاريخ بدأ الربانيّون يبحثون ويدرّسون ويضعون قواعد الديانة. ونشأت اليهود بعد ذلك. فقرّ قسمٌ منهم إلى غرب أوربا. واستقرّوا فيها، وازدهر شأنهم. وأخذوا بالبحث والفلسفة. ونبغوا في الأندلس (إسبانيا) في عهد المسلمين خاصّة في القرن (٩ - ١٢) الميلادي حرية وتسامحاً شديداً، فتقدّمت الدراسة عندهم. ولمّا بدأت الحروب الصليبيّة، تفنّن اليهود اضطهاداً شديداً في جميع أنحاء العالم الغربيّ لاسيّما في إسبانيا بعد أن احتلّتها المسيحيون. فقُتل من اليهود في القرن الخامس عشر الميلادي مئة ألف شخص. وطُرد اليهود من إنكلترا عام (١٢٩٠م) ومن فرنسا وإسبانيا والبرتغال. وفرضت القوانين القاسية عليهم:

= فلا يستطيعون أن يملكوا الأرض.

= ومنعوا من ممارسة بعض الحرف الحرة. فاضطروا للعمل بمهن لا قيمة لها.

وعاشوا بالذل والحرمان وكان الذين يتقون يلجؤون إلى الممالك الإسلامية، ولجأ قسمٌ منهم إلى (بولندا) كما هرب اليهود الألمان إلى (بولندا)، فقاسوا فيها أشدّ الويلات. واضطهدوا أنى حلّوا إلا في البلاد الإسلامية. على أنّ أفكار الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية عزّزت موقفهم. وأعادت إليهم بعض حريتهم فعددوا بعضهم. واستفادوا من النظام الرأسمالي. فقوي أمرهم أخيرًا في روسيا فإنهم لم ينالوا حقهم إلا بعد الثورة البلشفية (١٩١٧م) على أنهم ظلوا فيها غير قادرين على ممارسة شعائر دينهم حقّ الممارسة. وأسس السوفييت الروس لليهود دولة يهودية في (بروبيجان) (١٩٣٤م).

أدى تحرر اليهود إلى بروز حركتين مختلفتين نزعة صهيونية، ونزعة إصلاحية. وحاربت النزعتان إحداهما مع الأخرى. وفي عهد (هتلر) اضطهد اليهود وضيق عليهم الخناق. وقتل بعضهم في أثناء الحرب العالمية الثانية قتل هتلر منهم شنقًا وإعدامًا وذبحًا من خمسة ملايين نسمة إلى ستة ملايين[1].

ويظهر من هذا البحث أنّ اليهود اضطهدوا في أنحاء العالم إلا في بلاد المسلمين. فقد رأوا فيها الحرية والسلام... هذه البلادُ التي عاملتهم بالإحسان هي البلادُ التي وجّهوا سهامهم إليها. فاستولوا على بعض أراضيها (فلسطين)، ومثّلوا بأهليها قتلا وسفكا وانتهاكا وتنكيلا. فكانوا أسوأ مثلٍ للكفران الجميل.

ثانيًا - الكُتُبُ المُقدّسَةُ لليهودِ (العهدُ القديمُ - تناخ):

قبل أنْ ندخل في البحث عن اليهود ينبغي أنْ نأخذ فكرة عن الكُتُب المقدسة

---

(١) نسب شرف الدين في (اليهود) عدد من يعتقد هذه الإحصاءات الكثرة وجود اليهود.

التي يتخذها اليهود. وأنْ نعرف كيف تمّ جمعُها. وما هي أجزاؤها وموضوعاتها، فيمكنُ دراستُها من حيثُ (العقيدة، والعبادة، والأخلاق) دراسة علميّة، فعقيدة اليهود وتاريخهم ورسالةُ أنبيائهم تظهرُ واضحة في الكُتُب المُقدّسة. والكُتُبُ المُقدّسةُ حتى يومنا هذا معينٌ فيّاضٌ للبحث عنْ الدّيانة اليهوديّة وتاريخها. وهي مصدرٌ أوّل في ذلك. وتكادُ تكونُ أعظمَ المصادر وأوسعها.

والأسفارُ المُقدّسةُ عند اليهود جُمعتْ في الأناجيل. فكوّنت ما يُسمّيه المسيحيون بـ(الكتاب المُقدّس = **BIBLE**). فالكتابُ المُقدّسُ إذن قسمان:

١- العهدُ القديمُ (**Testament Old**) ويسمّيه اليهود (التناخ - **Tanakh**)

٢- العهدُ الجديدُ (**Testament New**)

والعهدُ القديمُ هو الذي يهمُّنا في بحثنا عنْ الدّيانة اليهوديّة لأنّ فيه كُتُبهم المُقدّسة. وهذا العهدُ القديمُ ليس بين أيدينا نسخة منه ترجعُ إلى المصادر الأولى التي أخذ منها. فلا شيء من عهد موسى عليه السّلام، ولا شيء من عهد الأنبياء الآخرين لليهود، وإنّما جُمع العهدُ القديمُ في أوقات متأخرة عنْ عهدهم. وجُمع جُمعَ مختلفا وبين أيدينا اليوم العديد من النُسخ. ثلاث نسخ منه مأخوذ بها عند اليهود والنّصارى، تختلفُ كلُّ نسخة منها عنْ الأخرى:

- السبعينية (**Septuagint**): تسمى (السبتاجنت) وهي ترجمةٌ يونانيّةٌ نُقلتْ من اللّغة العبريّة في القرن الثالث قبل الميلاد. وهي تتضمّنُ تشريعَ اليهوديّ بصفة خاصّة دونَ تاريخ اليهود. وكانت تُقرأ في الكنائس القديمة في العُصور النّصرانيّة الأولى.

- الفولغت (**Vulgate**): (الشائعة أو الدارجة) وقد جمع هذه النُسخة (سان جيروم ت: ٤٢٠م) جمعها باللّغة اللاتينيّة، وهي تختلفُ عنْ المنسوبة كلّ

الاختلاف، والمقارب بمعنى المقاربة النسخة الأولى التي تأخذ بها الكنيسة المسيحية من غير البروتستانت. أما البروتستانت فعدوها منحولة، وجعلوها ذيلا للماسورة، وسموها بالعهد المنحول (أبوكريفا = Apocrypha).

- الماسورة (Masoretes): (المسلمة) وجمعت ما بين القرنين السادس والعاشر الميلاديين. وأقدم مخطوطة موجودة لها وجدت في حلب، وترجع إلى القرن العاشر الميلادي. وتتضمن هذه النسخة نص العهد القديم بكامله باللغة العبرية. وتختلف هذه النسخة عن الأولى (السبتاجنت) كل الاختلاف في ترتيبها وفي نصوصها، وهي نسخة معترف بها عند اليهود، ومعترف بها عند البروتستانت من النصارى.

هذه النسخ الثلاث من العهد القديم تختلف كما ذكرنا - في نصها، وفي تركيبها، وفي أقسامها - وسنبحث الآن حربا على هذا الترتيب وأقسامه. وسنأخذ فيه بما يقول اليهود التقليديون.

ينقسم التناخ[1] إلى ثلاثة أقسام (التوراة - أسفار الأنبياء - الكتابات)

١- التوراة: وهي تنقسم إلى خمسة أسفار. وفي هذه الأسفار تاريخ اليهود وشريعتهم المنزلة. والقرآن الكريم يشير إلى التوراة كثيرا. ويقصد بها هذه الأسفار الخمسة على الأخص، وقليلا من غيرها. أما الأسفار الخمسة فهي:

أ- سفر التكوين: وفيه تاريخ بدء الخليقة، وتاريخ العالم حتى عهد النبي يوسف عليه السلام. فهو إذا سفر تاريخي فيه عبر وأقاصيص.

ب- سفر التيه أو الخروج: (اكسود بوس) وفيه تاريخ اليهود من خروجهم من مصر حتى اليوم الذي لقنهم فيه موسى شريعته، وفي هذا السفر مختصر

(١) في أحد الكتب. وهو ما تذكره دائرة المعارف البريطانية.

التشريعة، وبيانها الموجز العام.

ت- سِفْرُ الكَوانين أوْ اللاويين: وهذا السِّفْرُ يحتوي على وجه الإجمال والتقريب (العبادات - والأخلاق - والنكاح...) وما شابه ذلك من شرع اليهود.

ث- سِفْرُ الأعداد: وفي هذا السِّفْرِ سَردُ لتجوُّلِ إسرائيل في الصحراء، وغزوهم كنعان، وتقسيمُ الأراضي بينهم ولعتادهم.

ج- سِفْرُ ثنية الاشتراع: وهو عرضٌ تاريخيٌّ سريعٌ، ونصائحُ أخلاقيةٌ، وتشريعاتٌ خاصةٌ، وتبريكُ موسى لقومه ثمَّ وفاته.

٢ - **أسفارُ الأنبياء**: وأسفارُ الأنبياء أقلُّ قدسيةً من التوراة عند اليهود، وهي تتضمَّنُ أسفارَ أنبيائهم، مثل أسفار: (يشوع - والقضاة - والملوك - وإرعوث - وصموئيل...) وغيرُها ثمانيةُ أسفار.

٣ - **الكتابات**: والكتاباتُ هي نصوصٌ شعريَّةٌ أو تاريخيَّةٌ مُختلفةُ الاتجاه في شكلها، وأهمها (الزبور)، وغير ذلك من الآثار.

ولليهود كتابٌ آخر هو: (التَّلمود) ويعدُّونه الشَّرْعَ الشَّفهيَّ الذي جُمع فيما بعد، وأُضيفت إليه شروحُ الرَّبانيين وأعمالُهم وأقوالُهم وتحليلاتُهم للكتاب المقدَّس. وهو يعدُّ كذلك كتابًا مقدَّسًا عند (اليهود الأرثوذكس). وله نسختان مختلفتان اختلافًا كبيرًا، هما: (التلمود البابلي) - وهو المقصود عند الإطلاق - و(التلمود الأورشليمي).

ثالثًا - أنبياءُ اليهود:

نتكلَّم هنا عن أنبياء إسرائيل خاصَّة، لكنَّا نُقدِّمُ لذلك بحثًا عن نبيٍّ لم يكُنْ يهوديًا وإنما كان حنيفًا وهو (إبراهيمُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ):

أ - **إبراهيم عليه السلام**: كانت فكرةُ مؤرِّخي الأديان العلميَّة - أي غير

المنيرة – بأنّ شخصيّة إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام شخصيّة خياليّة لا يؤيّدها التّاريخ. غير أنّ هذا الرّأي الذي ينطلق من عدم الاعتراف بالرّسالات السّماويّة تبيّن أنّه غير صحيح ومجانب للصّواب. نتيجة لدراسة عالم كبير يسير على الطّريقة العلميّة اللادينيّة نفسها. وهو العالم (ليونارد وللي).

تبيّن له ذلك وهو يدرس التّاريخ في أرض الجزيرة – شمال شرقي سوريّة – وقد عرفها وعرف وضع الكلدانيّين. واستمرّ عددا من السّنين يحقّق ويتبع، فاهتدى أخيرا إلى أنّ شخصية إبراهيم هي شخصيّة حقيقيّة، ونشر ما انتهى إليه بحثه عام (١٩٣٦م) في كتاب أسماه (اكتشافات تاريخ إبراهيم والدّين اليهودي) وإنّا نتّبع بحثه في ذلك مع بعض الاستطراد والشّرح فنقول:

كان أهل بابل يعتقدون بمظاهر الطّبيعة، ويؤمنون خاصّة بإله يسمونه (نَنَار) وهو إله القمر. وكانت عبادة الأوثان منتشرة في الهلال الخصيب. تلك العبادة التي تجعل للرّبّ صفة مادّيّة. فهو يتمثّل بمظهر من مظاهر الطّبيعة. أو وثن من الأوثان، فهذه العبادة كانت منتشرة حينما كان أبو إبراهيم وإبراهيم في (أُور)، وحينما انتقلا إلى (حرّان)، يقول (وللي): إنّهما لعلّهما هناك كانا يؤمنان بـ(الإله نَنَار). وحدث في عهدهما حوادث غيّرت الآراء. وجعلت نفس إبراهيم تمجّ عبادة الأوثان. ذلك أنّ الكلدانيّين عزموا في حروبهم. وكانوا في حالة سيّئة، وهزمت آلهتهم التي يؤمنون بها... فنظر إبراهيم فوجد أنّ الآلهة غير قادرة على أمرها. فبدأ وصار يبحث عن إله يوفي حقّ الفكرة السّامية التي يجدر أن تكون للإله، فسمع صوت الوحي. فأُوحي إليه بوجود الإله الواحد الأحد.

ويشرح (وللي) تصوّر إبراهيم للإله الجديد. فإذا بتلك الفكرة تُعطينا ثلاث صفات جديدة للإله هي:

١- أنّ (يهوا) – أي الله – إلهٌ مجرّد لا تمثيل ماديّ له. فليس حجرا ولا

حيوان ولا مظهرا من مظاهر الطبيعة. إنما هو مُنزهٌ عنْ المادة مُمثلٌ في الأذهان، وهو خالقٌ يخلقُ بكلمة منه. فيقولُ للشيء (كُنْ) فيكون. وهو يتصرفُ بمخلوقاته كيف يشاء.

٢- إنه إلهٌ عدلٌ وخير. فهو حريصٌ على مصلحة إبراهيم. وهو حريصٌ على الخير كله إذ هو يحضُّ عليه ويدعو إليه ويلي فعله.

٣- إنه يُعطي للإنسان فرديته وشخصيته. فلا يفعلُ كالأرباب الذين يهتمون بصورة خاصة بالقبيلة نفسها دون أفرادها، والذين يهتمون بحوادثها جميعها وأفرادها جميعهم دون شخص مُعيّن. إنهُ إلهُ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإبراهيمُ خليلُ (يهوه).

وكذلك تظهرُ الشخصيةُ الإنسانيةُ منفردة عنْ القبيلة. لها قيمتها الخاصة كما ظهرت شخصيةُ الإله مُنفردة عنْ المادة ومظاهر الطبيعة.

هذه الصفاتُ الثلاث هي أهمُ ما قدمَ للبشرية. فقد دخلت الإنسانيةُ في صراط جديد هو صراطُ التجريد والخير والشخصية الفردية.

ونقولُ التوراةُ التي بين أيدينا - وبوافقها والي - : إنَّ إبراهيم وضع عادة الختان، وميزَ بهذه العادة أتباعه عنْ غيرهم.

ب - **موسى عليه السلام**: ومضى زمنُ اليهود بعدَ أنْ نزل الوحيُ على إبراهيم فلم يعودوا يدركون ما كان يُقرره لهمْ إبراهيمُ عنْ (يهوه) أنهم عرفوا اسم (يهوه) وعرفوا أنهُ إلهٌ، لكنهم كانوا يعتقدون أنهُ إلهُ (إسرائيل) كما يؤمنُ غيرهم بأربابهم، وكانوا يعتقدون أيضا أنَّ الآلهة الأخرى موجودة ولها قوتها، إلا أنَّ يهوه هو إلهُ إسرائيل. يساعدها ويقويها، وجاء موسى عليه السلامُ بشرعه وهو قائدٌ كبيرٌ يستطيعُ أنْ يقود الناس وراءه بقوة وحكمة ومعرفة. وخرج ببني إسرائيل منْ مصر. وكانَ (رعمسيس الثاني) يضطهدهم كثيرا. ثم إنهُ تلقى وحيه في طور سيناء

على نار العوسج، وعاد (بألواحه) وفيها قانونُ شرعه. وهو قانونٌ يحوي الفكرة الخالصة عنْ الله. وعن القانون الجزائيّ والتشرّع التعبُّديّ، ومادّة ذلك نجدها في السِّفرين الثاني والثالث منَ العهد القديم. وكان هذا الشرعُ الديانة اليهودية بالإضافة إلى شرع إبراهيم عليه السّلام.

جـ - **أنبياءٌ آخرون**: ولمْ يأخذ اليهودُ جميعاً بفكرة موسى. ولمْ يفهموها كلّهم حقّ فهمها. بلْ إنّ منهم من خرج عليها. ومنهم من اعتقد الالهة الاخرين للأمم الأخرى أرباباً، ولا ريبَ أنّ اليهود كانوا يعتقدون أنّ (يهوا) إلههم، وأنّهُ قادرٌ على كلّ شيء. ولكنّ قسماً كبيراً منهم يعتقدُ أنّ الالهة الاخرين للشعوب الأخرى آلهةٌ. فكانوا يخشون هذه الالهة ويطلبون العون من إلههم (يهوا) أمامها. ويتلقّون إشاراته عنْ طريق الأحلام وغير ذلك.

وأصيبوا في تاريخهم بما رأيناهُ من ذي قبل. فتفرّقوا دولتين (شمالية، وجنوبية) ووقعت الحربُ بين الدولتين. وكانَ الأنبياءُ يظهرون بين الاونة والأخرى في هذا الشعب المضطرب فيتضحونه ويوبّخونه. ويعدونهُ، ويتوعدونه، وكانوا يصبُّون لعناتهم على الأغنياء والظالمين والملوك. وما زالوا بهم حتّى بثّوا في أذهانهم أنّ الله واحدٌ أحدٌ. وأنّ الأرباب الأخرى ليسوا آلهة. ولا قيمةَ لهُمْ. و أنّ الله هو الذي خلق الكونَ بأجمعه وأنّهُ هو الذي يتحكّمُ فيه. ووضعوا لهُمْ بعضَ القواعد والشروح للألواح. فتوسّعت الديانةُ وأخذت شكلاً موسّعاً موضّحاً.

رابعاً - الرّبانيّون:

يقولُ أبو الفداء - فيما نقلهُ القلقشنديُّ -: (إنّهُ ليسَ في التوراة فكرة اليوم الاخر والمعاد) ويؤيّد الباحثون الأجانب ذلك. غير أنّهم يضيفون أنّ اليهود كانوا يعتقدون بوجود الرّوح. وهي ثانيةُ الجسد، وتدخلُ فيه فيحيا، وتخرجُ منه

فيموت، ويجعلون للأرواح وجودا خاصا. فالأرواح تجتمع في مكان يدعى (شيول) وتبقى فيه. ويقدم لها اليهود القرابين، ويخشون شرها، ويقومون بتعويذاتهم خوفا منها.

على أنهم يعتقدون أن الإنسان يجزى في هذه الدنيا عما عمل إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وقد يكون بين الناس من يفعل الخير لكنه يجزى بالشر، وتفسيره عندهم أنه مسؤول عن أعمال غيره فيجزى بالشر الذي فعلته قبيلته والإنسان ابن شعبه، وهو مسؤول عما يفعله غيره...

ولما تقدم بهم التاريخ وأصابتهم النكبات وجدوا أن العدل لا يتم في هذا العالم، وأن كثيرا من ذوي الشر يتمتعون سعيدين، **فشرع الربانيون يفكرون في الأمر**. ونظروا في الأرواح فقالوا: إنها ستبقى لتلقى جزاءها. وهكذا قال الربانيون بـ(يوم آخر) تجزى فيه الأرواح، وهو (يوم المعاد)، علما بأن طوائف من اليهود لم يقولوا بهذه الفكرة، منهم (الصدوقيون) الذين تمسكوا باعتقاد أنه لا معاد.

واستمر الربانيون يفسرون التوراة ويشرحونها، ويفصلون الأحكام التي ليست فيها. ومجموع أبحاثهم وكتاباتهم نجدها في (التلمود) وفيه أحدث شريعة لليهود.

خامساً - الشريعة واليهود:

نبين معا في البحث بعض هذه الشريعة اليهودية، فقد شرحنا فكرة (الإله - والمعاد - والوحدة بأرض كنعان - والختان).

ونضيف هنا أن اليهود آمنوا بأنه سيأتي (المسيحة) يعني المسيح عليه السلام ليتقدم مما هم عليه من التسوء والشر، ويجعل العدل والسلام والمحبة والأمن تسود العالم.

ومنْ شريعة اليهود:

= النَّهيُ عنْ أكلِ لحمِ الخنزيرِ أوْ لمسِه أوْ لمسِ جلده.

= وأكبرُ أعيادهم هو عيدُ الفصحِ، ويقعُ في (١٤/نيسان) - أي نيسانهم - يعني أواخرَ آذار، ويمتدُّ إلى نيسان، ويستمرُّ سبعةَ أيام، يمتنعون فيه عنْ أكلِ الخبزِ الذي تدخلُه الخميرةُ، يحتفلون بهذا العيدِ لخروجهم منْ مصرَ، وكأنَّهمْ يريدون باحتفالِهم هذا أنْ يبدؤوا عاما جديدا، ولا يصحُّ لهُمْ أنْ يستعملوا أوانيَ المطبخِ التي استعملوها في العامِ السَّابق.

= وهُمْ يحتفلون أيضاً يومَ السَّبت، وهوَ عندهم اليومُ السابعُ منَ الخلْقِ، استراحَ فيه الربُّ بعْدَ خلْقِه للعوالمِ - على ما يقولون - فهُم يتوقَّفون فيه عنْ العملِ، ويقومون فيه بالعباداتِ وليسَ لزاما عليْهِم أنْ يؤدوا تلْكَ العباداتِ في الكنيسِ الذي حلَّ محلَّ الهيكلِ القديمِ بلْ يؤدُّون قسْما كبيرا منها في بيوتِهم.

سادساً - فِرَقُ اليَهود المُعاصرة:

لليهود فرقٌ عديدةٌ في السَّابق، وفي يومِ النَّاسِ هذا، نُجْتزئُ منها بذكرِ ثلاثٍ تمثِّلُ مجموعَهم، فقدْ قامَ فيلسوفٌ ألْمانيٌّ يهوديٌّ اسمه (**موسى مندلزون**) فقال: (إنَّ اليهودَ يجبُ أنْ يتمثَّلوا ثقافيًّا بالشَّعبِ الذي يعيشون بيْنَهُ، وأنْ يعتبروا أنفسَهم منْ ذلكَ الشَّعبِ مواطنينَ كبقيَّةِ المواطنين)

إنَّ نظريَّةَ مندلزون هذه تقتضي التَّخلِّي عنْ كثيرٍ من عقائدِ اليهود، ونظرتِهم إلى الحياةِ والعملِ فيها، وبيانُ ذلك:

أوَّلا: إنَّ اليهودَ يعتقدون أنَّهُمْ شعبُ اللهِ المُختارُ الذي ارتبطَ بعهدٍ متينٍ مع الله، فعليه أنْ يُقيمَ العهدَ - فقدْ عاهدَ اللهَ أنْ يُطيعَ أوامرَه، وأنْ يتحمَّلَ مصائبَ تكفيرٍ ليكونَ شعبَهُ المُختار، وهوَ بتحمُّلِه المصائبَ يغسلُ خطاياهُ ويستحقُّ ذلكَ

الاختيار.

أمّا (مندلزون) فيدعو الشعبَ اليهوديَّ إلى أنْ يختلط بالشعوب الأخرى ويُصبح جزءا منها، فهو يدعوهُ إذنْ إلى أنْ يتخلّى عنْ فكرة الشعب المختار.

ثالثا: إنّ الحياة العاديّة بين الشعوب الأخرى على طريقته تقتضي من اليهود أنْ يتخلّوا عنْ مبدأ السبت وتركِ العمل فيه، وأنْ يعيشوا كغيرهم.

ثالثا: إنّ انصهارَ اليهود في الشعوب الأخرى يُبعدهم حتما عنْ فكرة العودة إلى الأرض الموعودة (أرض الميعاد)، التي هي بالنسبة إليهم الموطن الأوّل. إذا تقدّ تخلّى مندلزون وأتباعه عنْ: فكرة الشعب المختار، وعن السبت، وعن الأرض الموعودة. وأصبح الدينُ عندهم نوعا مُبهما من التوحيد والإيمان بالله.

وقد تصدّى سائرُ اليهود لدعوة مندلزون هذه وحصل نزاعٌ بين الفريقين وانقسم اليهود إلى طائفتين:

أ - (الأرثوذكس) وهم المتعلّقون بالدين القديم.

ب - (اللاأرثوذكس) والتي انقسمت بدورها إلى فرقتين:

= **الفرقة الإصلاحية**: وهم لا يأخذون بكثير من التقاليد القديمة، فهم يقرؤون التوراة باللغات المترجمة، ويأكلون لحم الخنزير، ولا يعظّمون يومَ السبت بلْ الأحد. ومن هذه الفرقة عددٌ كبيرٌ في أمريكا وألمانيا.

= **الفرقة المحافظة**: وهي لا تأكلُ لحمَ الخنزير، ولا تعملُ يومَ السبت، وإنْ كانت تحاولُ أنْ تبدو مندمجةً بالشعب الذي تعيشُ معه.

سابعا - الحركةُ الصهيونيّة:

وأهمُّ حادثة في تاريخ اليهود المعاصر هي قيامُ الحركة الصهيونيّة، أي إعادة تكوين الوطن اليهوديّ.

والصُّهْيونيّة ليستْ حركة دينيّة بلْ هيَ حركة قوميّة[1]. وبالتّالي فهي لا تأخذُ بالأصول العقائديّة للدّيانة اليهوديّة، كفكرة العَهْد بيْن الله واليهود، وفكرة الشّعب المُختار ووجوب تحمُّل المصائب والسّمع والطّاعة للشّرع.

ولا ريبَ أنّ اليهود المتمسّكين بشرْعهم يُقاومون فكْرة الصُّهْيونيّة كلّ المقاومة، ويرَوْن أنّ قيام الكيان الإسرائيلي على أرْض فلسطين هو سُبّةٌ في جبين اليهود. لكنّ هؤلاء قلّةٌ قليلةٌ، ولمّا الغالبيّةُ العُظمى من اليهود فيميلون إلى الكيان الإسْرائيلي وإنْ لم يكونوا صهاينة كلّهم.

وفكرةُ قيام دولة لليهود تقومُ على أساسٍ مُتناقضٍ كلّ التّناقض منْ وجهة النّظر اليهوديّة المحضة. ولْنقل هذه كلمة لأحد أساتذة الجامعة العبريّة بالقُدْس وهو **(فيربلروسكي)**، إذ يقولُ ما ترجمته: (إنّ السرّ الغامضَ لإسرائيل يظْهرُ الآن كاملا، فإسرائيلُ اسمُ الدّوْلة والأقليّة الدّينيّة، إنّ بِسْرائيل في العالم (وبعيدة) منه في الوقْت نفسه إنّ إسرائيل قوميّةٌ ودوليّةٌ معا، ويظْهرُ سرُّ تناقض اليهوديّة في كوْنها عالميّة وخاصّة (بشعب مُعيّن) يظْهرُ الآن بشكْلٍ جديد، فهناك دولةٌ يهوديّةٌ يجبُ أنْ تحْوي المُسْلمين والمسيحيين وغيرهم كمواطنين إسرائيليين، ثم هناك (في بلاد العالم) أقليّةٌ دينيّةٌ منْ إسرائيليين تضمُّ مواطنين مُخلصين لـ(فرنسا، وبريطانيا العُظمى، والوِلايات المتّحدة).

حقّا إنّ بِسْرائيل دولةٌ قائمةٌ على أُصولٍ مُتناقضة. ولا يُمكنُ أنْ تقومَ أوْ تستمرّ في الحياة. وأساتذتها يعْترفون بتناقض وضعها ولا يُخْفونه.

---

(١) وهي تنسب إلى (صُهْيون) وهي قطعة من هضبة القدس خلدت في المزمور الذي نسب إلى النبيّ الملك داود.

الفَصْلُ الثَّاني

الدِّيَانة النَّصرانيَّة

- أولاً – نشأةُ النَّصرانيَّة وكيفيَّة تشكُّل عقيدتها.
- ثانياً – النَّصرانيَّةُ في القُرونِ الوُسطى وظهورُ البابويَّة.

مدخل

النَّصرانيَّةُ دِينٌ تطوَّر مع الزَّمن تطورا كبيرا في عقائده وأفكاره وعباداته وطقوسه. وهو دِينُ المَسيح عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ. ولكنَّهُ لم يقتصر على التَّعاليم التي أتى بها السَّيدُ المسيحُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بل تعدَّاها إلى غيرها. فكوَّن من ذلك مجموعة كبيرة من العقائد والطُّقوس، وسنرى أنَّ السَّبب في هذا التَّطوُّر والمساعد عليه والمُوصل لهُ بالدَّرجة الأُولى هو فكرةُ الكنيسة. ومع الكنيسة فكرةُ روح القُدُس.

وإذا أردنا في بحثنا عن النَّصرانيَّة أنْ نكون واضحين في عرض المذاهب وواضحين في عرض التَّاريخ، فعلينا أنْ نتَّخذ من العرض التَّاريخيّ أساسا ونُدمج فيه عرض المذاهب، ذلك أنَّ المذاهب (ليست واحدة، ولم توجد في عصر واحد، وتم تنشق من معين واحد) بل كان هناك تطورٌ يتأثَّرُ كلُّ مذهب منها فيأخذُ شكلا دون شكل المذهب الاخر منها. وذلك تبعا للتَّطور، وعليه فسيكونُ عرضنا للنَّصرانيَّة على أساس تاريخها، على أنْ ندمج في التَّاريخ العقائد والمذاهب العامَّة التي ظهرت في كلِّ مرحلة تاريخية.

أولاً – نشأةُ النَّصرانيَّةِ وكيفيَّةُ تشكُّلِ عقيدَتِها

ولد المسيحُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في (بيت لحم) عام أربعة قبل الميلاد. وهذا هو التَّاريخُ الذي اتَّفق عليه المؤرخون بالرَّغم من التَّاريخ الميلادي المعروف.

والمسيحُ كلمةُ من الله وروحٌ منه.

أنَّ شخصيَّةَ المسيح فشخصيَّةٌ جذَّابةٌ ساحرةٌ ذاتُ مغناطيسيَّة – على حدِّ تعبيرنا اليوم – هائلة فائقة تؤثِّرُ في مستمعيه تأثيرا قويًا، فتنفذُ إلى أعماق قلوبهم.

وكان يتكلَّمُ كما يتكلَّمُ الشُّعراءُ، تكن دون التَّخذ الوزن والقافية. يستعملُ

الاستعارات والتشابيه، ويُطلق الخيال لنفسه. فيمثّل الأشياء للناس بطريقة فصيحة بيّنة. وتصور الاستعارة المبثوثة خلال الأناجيل والمقولة عنه صوراً فنية رائعة، كان يؤثر في الناس بها إلى جانب أثر شخصه وقوله.

وكان يجري الأكمه والأبرص، ويشفي المرضى من أمراضهم. وكان يحيي الموتى بإذن الله تعالى، وليس غريباً بعد ذلك أن يجتمع حوله عدد كبير من الناس، وأن يتخذوه إماماً.

شرع المسيح ينشر دينه، وله من العمر ما يقارب الثلاثين عاماً أو يفوق، ينشر في القرى فيتكلم مع الناس ويجيب عن أسئلتهم. وشرع يدخل الكنيس فيعترض المصلين فيه ويخطئهم ويستمع إليهم ويستمعون إليه؛ يتكلم إليهم بتلك التصوير الاستعارية التي تسمو بهم إلى ما في نفوسهم وإلى واجبهم، وتحمّل عقلهم وضميرهم عليهم ووعظهم بالتي هي أحسن.

ثم ترك الخليل وانتقل إلى القدس فدخلها على حمار والحواريون أصحابه - وهم اثنا عشر - يحيطون به. فاجتمع الناس عليه زرافات ووحدانا. وكانوا قد سمعوا بمعجزاته. والتفوا حوله يستمعون إليه. فماذا كان يقول لهم، وما هي رسالته؟

تعاليم السيد المسيح:

يمكن أن نلخص رسالته بمسائل ثلاث:

المسألة الأولى - أنه كان يؤمن بالتوراة، وأنه مصدقاً لما بين يديه من التوراة. فهو إذن لا يرمي إلى تأسيس دين ينقض الذي قبله بل يصدقه ويتممه، على أنه لم يكن يأخذ من الكتاب المقدس القديم بما ظنه الناس وأخذوا به مما يشير إلى ضيق في الفكر وغلظ تعمّق في تفهّمه. فقد كان يقر من الإيمان بما

يخالف الفكرة الدينية الأصلية. فكان إذا ذكر السبت قال: (إن السبت خلق للناس ولم يخلق الناس للسبت). وكان اليهود متمسكين بالسبت وبحرفية العمل فيه تمسكاً أعمى، حتى لقد امتنعوا يوماً عن محاربة (انطيوخوس الرابع) وتركوه يدخل مدينتهم يوم السبت لئلا يمسوا السلاح في ذلك اليوم، فكان المسيح عليه الصلاة والسلام يأخذ بالكتاب المقدس ولكنه يعلم الناس التبصر بما فيه، وينهاهم عن التوغل فيما يخالفه.

المسألة الثانية - أنه كان يقول: إن الله أب للناس جميعهم، يحبهم كلهم بمقدار متساوٍ. وهذا تر أي هو أساس من أسس الدين الذي أتى به، أساس يختلف كل الاختلاف عما كان يراه اليهود قبله. فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار، وأن الله إلاههم بصفة خاصة قبل أن يكون إله غيرهم. أما المسيح فبين لهم أن الله إله الناس جميعاً، وأنه ليس إلهاً لليهود وحدهم، وأن دينه دين عام للبشر لا لفئة خاصة من البشر[1]، وبين المسيح لأتباعه أنه لا تمييز بين الناس. فلا درجات ولا طبقات، كلهم متساوون عند الله، والله يقصد خيرهم جميعاً، ولا يفضل أحداً منهم على أحد، إلا بمقدار خدمتهم للناس، والقيام بما فيه خير البشر، والسعي في سبيلهم، وليس من عائلة مقربة في دين المسيح وليس من أخوة ذوي نسب مقربين. فلا نسب ولا قرابة.

كان المسيح عليه الصلاة والسلام يبغي أن يعمل العالم في بوتقة واحدة، وأن يعطيهم دينا واحدا، وأن يجعل حبهم للدين وعملهم في خدمة الإنسانية مقياساً لمحبة الله لهم.

---

(١) سيعلم فيما يلي أن الذي جعل المسيحية دينا عالميا هو بولس لا المسيح نفسه، هو الذي أخرجها من الحدود اليهودية.

المسألة الثالثة – تبشيره بمجيء ملكوت الله. وفهم اليهود من هذه الدعوة أنّ هناك ملكًا وعرشًا. أمّا هو فقد كان يقصد بملكوت الله السلام والصفاء التام، ورفع الاختلاف بين الناس. ذلك ملكوت الله وذلك السلامُ بينهم. وأنْ يحبّ بعضُهم بعضًا. وأنْ يتولّى الصفاءُ قلوبهم. والسعيُ لملكوت السماوات إنّما هو السعيُ لهذا الصفاء والسلام والوئام والحبّ. والتقرُّب من ملكوت السماء إنّما هو فعلُ الخيرات والحضُّ عليها. بلْ سُئل المسيحُ يومًا عنْ دفع الضريبة لقيصر، فقال: أعطوني دينارًا. فأعطوهُ دينارًا، فنظر فيه فرأى صورةَ قيصر. فقال: ردُّوا مالَ قيصر لقيصر. فهو يرى أنْ يدفعَ كلُّ إنسانٍ حقَّ غيره، وهو لا يرى بين الناس اختلافًا.

هذا مختصرُ ما يُقالُ عنْ تعاليم المسيح عليه الصلاةُ والسلامُ، والأناجيلُ الأربعةُ تُعطينا فكرةً واسعةً عنْ ذلك لا نتجاوزُ في مجملها هذه التعاليم، ولا نتعدّاها إلى سواها. ممّا وجد بعدَ ذلك والتمسَ في العقيدة المسيحيّة.

موقفُ اليهودِ منْ رسالةِ المَسيح:

تلك إذنْ كانت تعاليمُ المسيح عليه الصلاةُ والسلامُ. على أنّ المسيحَ خالفَ اتجاهًا واضحًا كان في عصره. ذلك هو اتجاهُ اليهود أنفسهم. فقد كان اليهودُ في حالة ضنك شديد. قبل ظهوره قد لقوا المصائبَ من نفي وقتلٍ وتشريدٍ وتعذيب، وكان الشعبُ اليهوديّ قد نشتّت في أنحاء العالم. واعتقد اليهودُ أنّهُ سيأتي منقذٌ لهمْ. وأنّ هذا المنقذ سيعيدُ لهمْ دولتهم وملكهم. وسيجعلُ القدسَ عاصمةَ العالم. وسيعطي الشعبَ اليهوديّ المكانةَ الأولى بين شعوب العالم، وكان هنالك اتجاهان واضحان:

أحدهما اتجاهُ الفريسيين: وهم فرقةٌ من الفرق المتمسّكة بكيان الديانة

اليهودية تمسكا شديدا أعمى. وهم الذين تركوا (تيطوس الرابع) يدخل القدس، لأن عليهم أن لا يحاربوا يوم السبت. وكانوا لا يفهمون من التوراة إلا ظاهرها، يتحذلقون في فهمه الظاهر.

والاتجاه الثاني اتجاه الصدوقيين، وهؤلاء فرقة متساهلة، لم تكن تنظر إلى أن اليهود أمة قائمة بذاتها، وأن السبيل لها وحدها، بل اختلطوا باليونان ونشروا دينهم بينهم، وتقبلوا منهم لغتهم، وترجموا الكتاب المقدس إليها.

هذان الاتجاهان كان يخالفهما اتجاه عام، هو - كما قلنا - الاعتقاد بأن مخلصا سينقذ اليهود مما وقعوا فيه. وكانت الثورات والقلاقل لا تزال تترى، فاليهود المتحمسون يقومون بالعصيان على روما.

كان الجو مثقلا إذا. وكان انتظار المسيح قويا في النفوس، حتى إذا ظهر المسيح التف الناس حوله.

على أن اليهود لم يجدوا في أقوال المسيح ما يوافق رأيهم السابق. فهو لم يكن يدعوا إلى مملكة إسرائيل، ولم يكن يقول بأن إسرائيل هم شعب الله المختار، بل نبأ بخراب الهيكل. وسوى بين الناس ولم يجعل للكهنوت اليهود يدا على غيرهم. ولم يرفع من قيمة اليهود خاصة. فكان من كل ذلك أن خاب أملهم فيه. ثم إنه حارب الفكرة اليهودية الضيقة في الطقوس والعادات. كما رأيت. وحارب التقيد والحذلقة التي تمسك بها الفريسيون. فوجدوه خطرا شديدا عليهم. ووجد المتفلتون فيه خطرا أيضا. فسعوا جميعا إلى إهلاكه. ووشى به (يهوذا) أحد أتباعه فألقي القبض عليه وحاكمه الكهنوت اليهودي. فحكموا عليه بالصلب، وصدق هذا الحكم مندوب روما المسمى (بيلات).

وتقول المصادر التاريخية: أن المسيح صلب بين لصين صلبا. وأن أتباعه وتلاميذه وحواريه خافوا فلم يحضروا الصلب. ولما كان في اليوم الثاني. ألفت

بعض النسوة فلم يجدن الجثة ثم رأت (مريم المجدلية) المسيح عليه الصلاة والسلام بكامل هيئته، وراء غيرها أيضاً. فاعتقدوا أنه أحيي ثانية وبُعث.

أما عقيدتنا التي نأخذ بها وهو ما نصّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذا ما جاء في إنجيل (برنابا) - الذي سنتكلم عنه - فهي أنه لم يُصلب ولكن شُبّه لهم.

الإنجيلُ والأناجيلُ:

نردّد في آيات متعددة في القرآن الكريم ذكر (الإنجيل) الذي أُنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، ونرجع إلى الكتب التي عدّها النصارى كتبهم المقدسة. فلا نجد بينها كتابا مُنزلا يُدعى بـ(الإنجيل) إنما الذي نجده فيها (أناجيل أربعة) كتبها أربعة من تلاميذ السيد المسيح. وفي كلٍّ منها ترجمة لحياة المسيح عليه الصلاة والسلام وأقواله. فأين الإنجيل المُنزّل؟!.

إنّ المجامع الكنسية وأصحاب السلطات فيها اتفقوا على عدد من الكتب عدّوها صادقة تعبّر عن دينهم وعقيدتهم، وترجم للمسيح، فأقرّوها، وعدّوا ما سواها مُزيّفا، والذي أقرّوه يتمثل بما يلي:

= **الأناجيل الأربعة:** (متى، ومَرْقُص، ولوقا، ويوحنا).

= **رسائل أعمال الرُّسُل:** وهي رسائل تبعثت تلامذة المسيح عمّن دعوهم بالرُّسُل.

= **الرسائل التعليمية:** وهي رسائل أخرى غير السابقة.

وهناك أناجيل أخرى تتضمّن تراجم لحياة المسيح عدّوها مُزيّفة غير صحيحة كـ(إنجيل برنابا). وهناك رسائل رفضوها أيضاً.

على أنهم يدّعون أنه ليس من إنجيل أُنزل على نبيّهم. وكلّ ما يعترفون به

أنّ أقواله وأعماله قد سجّلها أصحابُه بعد وفاته بالإلهام صحيح. فهي صحيحةٌ، هذا ما يدّعون غير أنّ هنالك إشاراتٍ في الأناجيل التي يعترفون بها تدلُّ على أنّ المسيح كان يتكلّمُ عن إنجيل، ويُسمّى في الترجمة اليونانية (بشارة) وهي كلمةٌ تُترجمُ كلمة في اليونانية هي (إنجيل).

ويأخذُ مؤرّخو الأديان بوجود هذا الإنجيل ويسمّونه بالوثيقة (كـ) ويستنبطون وجوده ممّا يظهرُ من اتّفاقٍ بيّنٍ في بعض أقوال المسيح وأعماله كما نظهرُ في الأناجيل الثلاثة خاصّة (متى، ومُرقُص، ولوقا) وهذه الأناجيلُ كلُّها ترجعُ إلى مصدرٍ واحد.

أمّا الأناجيلُ الأربعةُ فيقتضي الكلامُ عنها بنصّ الشرح. فقد شرعَ المسيحُ عليه الصّلاةُ والسّلامُ بوضع ترجمة حياته وأقواله وأفعاله في كُتُب، وهذه الكُتُبُ وضعت بعد رفعه بدءً من الزّمن، وظهرَ أوّلُ الأمر ثلاثةُ أناجيل منها، كتبها (متّى، ومُرقُص، ولوقا) وهي أناجيلُ تستقي من معينٍ واحد، ويقولُ رجالُ الكهنوت المسيحي أنّها كُتبت بإلهامٍ من الله، ولذلك فهي صحيحةٌ، وهي تضعُ أصول الدّين المسيحيّ، وتبيّنُ رغبات المسيح عليه الصّلاةُ والسّلامُ مع ترجمة مفصّلة لحياته.

على أنّ الشيخ رحمة الله الهنديّ درسَ في كتابه (إظهار الحق) هذه الأناجيل واستخرجَ منها أكثرَ من مئة مكانٍ يظهرُ فيها الاختلافُ بينها، ولو أنّهُ اختلافٌ ليس في العقيدة بلْ في التّفاصيل، وهذه الاختلافاتُ تدلُّ على أنّها ليستْ بنت الوحي والإلهام، وإذا كان فيهذه الأناجيلُ الثّلاثةُ لا تتكلّمُ عن ألوهيّة المسيح، ولا تدلُّ عليها بشيء.

ثمّ ظهر بعد الأناجيل الثّلاثة المتقدّمة بزمنٍ إنجيلٌ رابعٌ يتحدّثُ عن تلك الألوهيّة، ويأتي بالعقيدة التي يعتقدها المسيحيون اليوم، وهو (إنجيلُ يوحنّا).

يقولُ الباحثون: إنَّه كانت بعدَ عام (٦٠ م) طوائفُ تُنكرُ ألوهيَّة المسيح. فطُلبَ من (يوحنا) أنْ يُبيِّنَ ما أصلُهُ (مَتَّى، ومَرْقُص، ولوقا) من تلك الألوهيَّة فكتبَ إنجيله، وعدَّه النَّصارى رابعَ الأناجيلِ الصَّحيحة.

وأمَّا بأمثاله عنْ الألوهيَّة لم تُذكرْ عندَ غيره، مع أنَّها أصلُ الدِّين عندَ النَّصارى، وعلى ذلك فإنَّ كُتُبَ المسيحيينَ المُعترفِ بها قبلَ عام (٦٠ م) لم تكنْ تحوي شيئًا عنْ دعوى الألوهيَّة. وإنْ كانَ بعضُ النَّصارى يعتقدونَ آنذاك تلك الألوهيَّة دونَ نصٍّ يُثبتُها.

إنجيلُ برنابا:

وهنا يقتضي الأمرُ بنا أنْ نوردَ ما يُعرفُ عنْ (إنجيلِ برنابا)، فهذا الإنجيلُ الذي اكتُشفَ عام (١٧٠٩ م) بنسخته الإيطاليَّة، يُشابه الأناجيلَ الأخرى من حيثُ أنَّه ترجمةُ حياةِ المسيحِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ولأقواله وأفعاله جاء فيه ما يلي: (قالَ يسوعُ: إنِّي أشهدُ أمامَ السَّماء، وأشهدُ كلَّ ساكنٍ على الأرضِ أنِّي بريءٌ منْ كلِّ ما قالَه النَّاسُ عنِّي منْ أنِّي أعظمُ منْ بشرٍ. لأنِّي بشرٌ مولودٌ من امرأةٍ وعُرضةٌ لحُكمِ الله. أعيشُ كسائرِ البشرِ عُرضةً للشَّقاءِ العام).

هذا القولُ ينسجمُ مع يعتقدهُ المُسلمونَ منْ بشريَّة السَّيد المسيح.

أمَّا عُلماءُ النَّصارى فيرونَ أنَّ هذا الإنجيلَ من وضعِ نَصْرانيٍّ أسلمَ فوضعَ إنجيلا نسبَهُ إلى برنابا وجعلَه بودِّ خفيَّةٍ للمُسلمين.

أمَّا أنْ يكونَ هنالكَ إنجيلٌ لبرنابا. فهو أمرٌ لا يُمكنُ نفيُه. فإنَّ ذلك الإنجيلَ كانَ معروفًا منذُ القدمِ وقد عدَّه كهنوتُ النَّصارى إنجيلا منحولا وأدخلوهُ في عدادِ الكُتُبِ المنحولة.

وأمَّا أنْ يكونَ برنابا – وهو من الذينَ يُبجِّلُ النَّصارى مكانتَهم ويسمُّونهم

رُسُلا كان له رأيٌ مُخالفٌ لأهلِ عصره في قضيّة الانحراف عن العقيدة الأولى المسيحيّة التي هي عقيدةُ التوحيد كما كان يقولُ بها اليهودُ فذلك أمرٌ يقولُ به مؤرخو الأديان، بلْ إنّ من الوثائق التي اكتُشفتْ في جوار البحر الميت (وهي وثائق قديمة من القرن الأوّل الميلادي) أنّ بينها رسالة تخصُّ اسمه، وهي تستنكرُ ذلك الانحراف الذي حصل في الأوساط المسيحيّة.

فإنجيلُ برنابا وموقفُ برنابا من غيره من المنحرفين بيّنٌ لا مجال لرفضه.

والذي يبقى أنّ نسخة الإنجيل التي اكتُشفتْ عام (١٧٠٩ م) وآلتْ إلى البلاط الملكيّ بـ(فيينا) هي النُسخةُ الصحيحةُ لـ(إنجيل برنابا).

وفي هذا خلافٌ ومناقشةٌ ليس محلُّها هنا، وقد تمّ عرضُها في مُقدّمة نسخة (إنجيل برنابا) التي تُرجمتْ إلى الفرنسيّة، وفي كتاب (مُحاضرات في النصرانيّة) للأستاذ مُحمّد أبو زهرة، وأهمُّ ما في هذه المناقشة:

= أنّهُ ليسَ في صياغة الإنجيل هذا وعرضه ما لا يأتي مُتّفقا مع ما يجبُ أن تكونَ عليه الأناجيلُ.

= ثُمّ إنّهُ لو كان من وضع مسيحيٍّ مُسلمٍ لكانَ انتشرَ بينَ المسلمين، وتداولوا بما فيه، وهو ليسَ معروفاً بينهم. وهو إنّما اكتُشف في خزائن النصارى لا في خزائن المسلمين.

ومن البديهيّ أنْ ترفضَ الكنيسةُ المسيحيّةُ هذا الإنجيل، فهو لا يُخالفُ رأيها في قضيّة الثالوث فحسب، بلْ في قضيّة الصلب أيضاً.

وهو مؤيّدٌ تأييداً تامّاً لما يقولُ به المسلمون بناءً على آيات القرآن الكريم من أنّ المسيح لم يُصلَبْ ولكنْ شُبّه لهم - أي لطالبيه - فهو يذكرُ أنّهُ يومَ جاء طالبوهُ كانَ مع أصحابه، ثُمّ دخلَ هو ويهوذا الإسخريوطيُّ غرفة مُجاورة، خرج منها يهوذا وهيئته تُشابه هيئة المسيح، فصارَ أصحابه يدعونه باسم المسيح، وهو

بقولُ لهم: (لستُ المسيح، أنا يهوذا)! ويسألُ هو عنَ المسيح أينَ ذهب؟! ثمَّ أتى طالبوا المسيح فقبضوا عليه.

وهذه الروايةُ عنَ حادثة نهاية دعوى الصَّلب هي روايةُ مؤرِّخي الأناجيل عنَ بولُس، ويقولون: إنها كانتْ معروفة عنه، ويقولُ بها. وهي العقيدةُ الإسلاميَّةُ نفسُها في هذه المسألة.

تكوينُ العقيدةِ المَسيحيَّةِ

بناءً على ما تمَّ عرضُهُ نطرحُ السُّؤال التالي: **ما هي العقيدةُ المسيحيَّةُ** التي يأخذُ بها أكثرُ المسيحيين وحاليُّ طوائفهم؟

وفي الجواب نقول: إنَّ العقيدة المسيحية أخذتْ شكلَها النهائي في القرن الرابع الميلادي، وفيه عُرفتْ واستقرَّتْ على ما هي عليه.

وخلاصتُها:

أنَّ الإنسان (آدم الأوَّل) عصى ربَّهُ في الجنَّة، فأخطأ خطيئته الكُبرى، فأخرجهُ اللهُ من جنَّته الأرضيَّة، ثمَّ أراد أنْ يُنقذهُ فأرسلَ ابنه (يسوع = آدم الثاني) مُنقذاً لهُ يفتدي خطيئتهُ بدمه. وما صلبُهُ وسفكُ دمه إلا فدية خطيئة الإنسان. والخطيئةُ تبقى مع الإنسان فيجبُ عليه أنْ يُشارك بدم المسيح لكي يُنقذ نفسهُ، ومنْ هُنا كان ما يُسمَّى (القُربان المقدَّس). فإذا أكلَ الإنسانُ من القُربان اشتركَ بدم المسيح، وافتدى خطيئته الكُبرى، وأسَّس المسيحُ كنيسته قبل أنْ يُصلب.

والكنيسةُ هي: جماعةُ المؤمنين، بجمعهم إيمانٌ واحدٌ بسرِّ القُربان المقدَّس، وإيمانٌ بالمسيح وبأنَّهُ مُنقذٌ لهُمْ من أخطائهم، وإيمانٌ بحريَّة الإنسان في أفعاله، وبأنه يُنقذُ نفسهُ بتلك الأفعال، وبأنه يتمتَّع بشفاعة القدِّيسين، وبأنه يظهرُ في آخر الزَّمان حاكمٌ عامٌّ يُخلِّص الإنسان والبشريَّة ويهديهم سواء السَّبيل.

هذا هو ملخص النظرية المسيحية التي يظهر فيها نقاط جديدة نضيف لما تقدم. وهي: (قضية الفداء، وسر القربان المقدس، وشفاعة القديسين، والمشاركة بخطايا القربان المقدس).

هذه الخطايا يقول المسيحيون: إنها دين المسيح عليه الصلاة والسلام، وداخلة في رسالته، فهو قد نزل روح القدس، فما اتفق عليه الآباء والمرسلون والكنيسة يدخل في صميم الفكرة المسيحية بإرشاد وتوجيه من روح القدس.

على أن العلماء المحدثين يفسرون التطور الذي حدث في الديانة المسيحية تفسيرا علميا، منهم (شارل غينيبر) وكان أستاذا في (جامعة السوربون) ومن كتبه كتاب أسماه (المسيحية القديمة) فسر فيه تطور المسيحية ولا سيما أثر الرسول (بولص) في هذا التطور، ونحن سنلخص هنا كتابه هذا لتطلع على وجهة النظر العلمية في الأمر.

يقول غينيبر: إن أتباع المسيح عليه الصلاة والسلام رأوه بعد محاكمته، وبعد تنفيذ حكم الصلب فيه، اشتدت عقيدتهم به، ورأوا أن الله مؤيد له، وله عنده منزلة كبيرة، وتمسكوا بالتبشير بدينه أكثر من ذي قبل، وتأصلت في نفوسهم فكرة عودة المسيح، وأنه هو المسيح المذكور في التوراة.

هذا وكان هنالك فئتان قد اتبعتا الدين الجديد:

= أولاهما (فئة الآباء) الذين عاشروا المسيح عليه الصلاة والسلام وتتلمذوا عليه.

= والثانية (الديانسبورة) وهم يهود تركوا ملكة بمرتين وهاجروا في جهات سورية وغيرها، فأقاموا بين السكان (أي الجانتيين) واختلطوا بهم، واستقبلهم عوام الناس بالكره والحقد، لكن المتعلمين من الناس عطفوا عليهم وأخذوا يتجادلون معهم، ويتفهمون منهم آراءهم، ويفسرون لهم آراءهم هم.

وهكذا دخل في فكرة الدياسبورة الشيءُ الكثيرُ من العقائد المحليّة. فكانت لهُمْ إذن فكرةٌ لا تشابه فكرة اليهود المقيمين في إسرائيل، بل تميلُ إلى الناحية اليونانيّة الشرقيّة، وبذلك كانوا يختلفون عن الآباء الأوّلين.

وفي وسط الدياسبورة نشأ (الأبُ بولس) وكان اسمه قبل ذلك (شاؤل) وطبيعيٌّ أنْ يكونَ متشرّبًا بروح الدياسبورة وبعقيدتها، وطبيعيٌّ أنْ يفهمَ فكرة المحيط الذي عاش فيه، وفكرة الجانتيل (وهمْ غيرُ اليهود من أهل البلاد الأصليين).

نشأ (الأب بولس) في طرطوس، وكان في أوّل أمره عدوًا للنصرانيّة عنيفًا. على أنّهُ اطّلع على الدّين الجديد من أبناء قومه الذين زاروا القُدْس بعْد عهد المسيح عليه الصّلاةُ والسّلامُ واتصلوا بالآباء المسيحيين الأول.

ويقولُ غيبير: إنّ الدّيانة التي اطّلع عليها (الأب بولس) لا بُدّ أنها تختلفُ عنْ الدّيانة التي كانَ يأخذُ بها الآباءُ الأول، فلا بُدّ أن تكون مشربة بروح الدياسبورة.

وقدْ وجدَ الدياسبورة في محيطهم الذي يعيشون فيه أنّ ديانة (الجانتيل) – وهي الدّيانة (الهيلينيّة الشرقيّة)[1] – تؤمنُ بآلهة يموتون ويحيون في العالم نفسه.

وكان الجانتيل يُقيمون بمناسبة موت هذه الآلهة وبعثها احتفالات يقرّبون فيها القرابين، ويبذلون دماء الحيوانات، ويأكلون منها، فيشتركون مع الآلهة المتألهين، ويشتركون في الخلود معهم، وكانَ في طرطوس إلهٌ من هذه الآلهة إلهٌ يموتُ ويحيا واسمه (صندان)، وكانَ الدياسبورة يعرفون ذلك، ولا بُدّ أنّ (الأب بولس) كان مُطّلعا على هذه الدّيانة. فقد كان عالمًا عارفا، وعلمُه واسعٌ كبيرٌ

---

(١) أي الممتزجة بعد الاسكندر بعناصر من الثقافة اليونانية (الهيلينية) والآسيوية الشرقية. عن الطبعة الهيلينية، أو ديانة جانتيل الشبيهة الشرقية.

أدهش المسيحيين من اليهود الأصليين.

وبعد فليس عجيباً، أنْ يبشرَ (بولس) والديباسبورة بفكرة تلك الألوهة التي تموت وتحيا وتُقدَّمُ القرابينُ لأجلها، ويأكلُ الناسُ من قربانها ويشاركونها فيها.

ويقولُ غينيبر: إنَّ الديباسبورة كانت أميل إلى أنْ تعتقد وجود السيّد المنقذ أكثر من أنْ تعتقد وجود السيّد المسيح، ذلك الإنسانُ ابنُ الرَّجُلِ الذي كان يُبشّرُ به النبيُّ السيّدُ المسيحُ (دانيال) فالسيّدُ المنقذُ كانت صورتُهُ في تلك الألوهة اليونانية المنقذة.

اطّلعَ (الأب بولس) على الديانة التي حملتها فئةُ الديباسبورة التي كانت في القدس، وفيما كان يسيرُ في الطريق تصوّرَ المسيح، واعتقد أنه رآه، فعادَ يُبشّرُ بالمسيحيّة وبالرّسالة التي اعتقدها قائلاً إنّهُ أخذها من المسيح نفسه ويوحي منه، وكان يعتقدُ ذلك اعتقاداً جازماً هو اعتقادُ المؤمن.

ويفسّرُ غينيبر كيف أنّ (الأب بولس) إلى ما آل إليه من رأيٍ في الدّين، فهو حقاً ذهب إلى بيت المقدس بعضٌ من الأب بُرنابا لكنّه لم يبقَ فيه، بل سار يطوفُ العالم، ووجدَ خلال رحلاته أنّ الناس يفهمون فكرة السيّد المنقذ ويعتنقونها أكثر من الفكرة اليهودية نفسها عن المسيح.

ولعلّه وجدَ أيضاً أنّ اليهود أنفسهم مع مخالفتهم له بالرّأي يسيرون معه إنْ رفع من شأنَ المسيح عليه الصلاةُ والسلامُ إلى منزلة المنقذ، دخلَ الرّأيُ في أعماقِ قلبه فاعتقد أنّهُ الحقُّ، وأنّهُ دينُ المسيح نفسه، ولمّا آل إلى هذه النتيجة أخذ يُبشّرُ بما انتهى إليه فيقولُ: (إنّ المسيحَ منقذٌ للناس من خطيئتهم بفدائهم بنفسه وذمه عن طريق الصلب).

ونشر دعوتَهُ بين الجماعات، فوجدَ هؤلاء قريباً من نفوسهم، يفهمونه، إذْ

بُشابه عقيدتهم في الآلهة التي تموتُ وتحيا، والتي يُشاركونها في القُربان المقدّس، لكنّ المسيحيين من اليهود الأصليين لم يستقبلوا هذا الرأي استقبالاً سيئاً إذ هو يرفع من مكانة المسيح عليه الصلاةُ والسلامُ ويجعلهُ فداءً عظيماً للإنسانيّة.

أحدث (الأب بولس) شيئاً جديداً، وهو أنّهُ جعل المسيحيّة ديناً عاماً عالمياً لا خاصاً باليهود كما كانوا يظنّون.

هكذا يُفسّرُ غيبير ما انتهى إليه أمرُ العقيدة المسيحيّة على يد الأب بولس بشأن ابن الله والقُربان المقدّس.

ويُفسّرُ لنا ولز هذه الفكرة في كتابه (معالم تاريخ الإنسانيّة)[1] فيقولُ: إنّ ذهن بولس اللامع جعلَ لحياة المسيح معنى صوفيّاً، وكان المسيحُ قد دعا النّاس إلى عملٍ هائلٍ إلى تكريسٍ تامٍّ لشخصيهم. إلى بعثٍ جديدٍ في عالم الحبّ، وكان معتنقو المذهب يتّبعون سيدهم بخطى متثاقلة، ولا بُدّ أنّهم كانوا يميلون بالطّبع إلى أنْ يبتعدوا عنْ هذا المذهب السّهل وهذه العقيدة الواضحة. متخذين ذكائهم دليلاً وأنْ يبحثوا عن ملجأ لهم في تلك النظريّات والحقلات المعقّدة...

أوليس إشباعُ الجسم بالدّم أيسرَ من تطهيرها من كُلّ شرّ ومن كُلّ نحاسة؟

أوليسَ من السّهل أكلُ الخبز وشربُ الخمر ثمّ تزعمُ بأنّ ما أكلوهُ شخصُ الإله؟

أوليس تقديمُ الشموع أيسر من تقديم خالص النّفس والقلب؟

أوليس سهلاً خلقُ الرّأس في حين أنّ الدّماغ يحيك بالسرّ أثناً من صغير المؤامرات؟

---

(١) انظر ٥٤٤ من طبعة وكتبرية سنة ١٩٤٠م.

يقولُ ولز[1] في بيان خلوّ الأناجيل من النقاط اللاهوتية التي آلت إليها العقيدة المسيحية: (وهناك أمرٌ ثابتٌ، وهو أننا لا نجدُ في الأناجيل شيئاً تقريباً يُثبِتُ ما تؤكّدُه النصوصُ اللاهوتيةُ مما يُشكّلُ في مجموعه دينَ المسيحية.

فلا يوجدُ في أيّ موضعٍ منها بصورةٍ صريحةٍ ما يُثبِتُ بوضوح المذاهب التي يعتبرُها كلُّ المبشّرين من شتّى الفرق ضروريةً للسلام. والقارئ يُمكنُ أنْ يتأكّد من ذلك بنفسه.

ومن العسير أنْ نجد كلمة خرجت من فم المسيح يُمكنُ بها أنْ نَدلّ على أنّهُ كان يعتبرُ نفسَه مسيحَ اليهود، أو أنّهُ كان يعتقدُ بأنّهُ شريكٌ في الألوهية.

والمسيحُ يُفسّرُ أيضاً مذهبَ الفداء، ولا يُبيّنُ لأتباعه ضرورةَ القُربان والتقديس (أي الطقوس التي يقومُ بها الكهنوت) وقد مزّق المسيحيّةُ الجدلُ حول الثالوث، مع أنّهُ ليس هناك أيُّ دليلٍ على أنّ رُسُلَ المسيح سمعوا شيئاً عنْ الثالوث، أو على الأقلّ سمعوا شيئاً عنْ ذلك من سيّدهم نفسه...

وكذلك لا يقولُ عيسى كلمة واحدة عنْ عبادة والدته مريم...)

وبعدَ أنْ أسّس (الأب بولس) مذهبهُ - على الشكل الذي رويناه نقلاً عنْ غيبير - كان لا بُدّ من أنْ يحدُث الشقاقُ الكنيسة المسيحيّة عنْ مجموعة اليهود.

حقّاً إنّ المسيح عليه الصلاة والسلام يقولُ إنّهُ أتى مصدّقاً للتوراة على أنّهُ لمْ الآنَ لم يأتِ جديدٌ في العقيدة يختلفُ عن الديانة اليهودية، وحصل بعدَهُ عنه وعن شرحها، وتكوّنت الديانةُ المسيحيّةُ مستقلّةً متمتّعةً بحرّيتها مع كنيسة تبنت على الشقاق مع اليهودية.

وسارت المسيحيّةُ في طريقها في التطور، وإذا بها تكونُ فكرتُها عنْ الثالوث

---

(١) راجع ٤٣٠.

المقدس، والثالوث المقدس هو: (الله، المسيح، روح القدس) كيف تشكلت هذه الفكرة وما هي اسسها.

لا ريب أنّ المسيحيين يعتقدون وجود الله خالق كلّ شيء، لكنّهم رأوا معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام واعتقدوا أنّه صلب ثمّ ظهر ثانية، فتكوّنت في نفوسهم فكرة راسخة؛ عن مكانته، وعن قدرته، وعن قوته، فصاروا يبحثون في طبيعته: من هو؟ ما هي خصائصه؟ بحثوا في ذلك بحثاً واسعاً فتكوّنت عندهم قبل القرن الرابع آراء مختلفة في هذا الصدد، نذكر منها ثلاثة:

١) رأي (الأب بولس) الذي يرى أنّ المسيح شخص سماوي نزل إلى الأرض وأنّه روح الله وصوته.

٢) رأي آخر يقول أصحابه: إنّ المسيح هو كلمة الله (لوغوس)، فهو إذاً لأنّ الكلمة فيض من الله.

٣) وهناك رأي ثالث يقول: إنّ عيسى ليس رجلاً إلا في مظهره وظاهره.

وهكذا نرى أنّ هذه الآراء الثلاثة تعطي للمسيح صفة أكبر من الصفة البشرية، وتصله بالله.

وظهر أمام المسيحيين قبل القرن الرابع مشكلة عويصة فلسفية بشأن عقيدة الثالوث، فكيف يكون وضع ذلك الثالوث المقدس؟

لا ريب أنّ المسيحية التي خرجت من اليهودية يجب أن تكون ديانة توحيدية توحّد الإله، تكرّ الثالوث المقدس يعارض فكرة التوحيد، فكيف لحلّ المشكلة إذا استبقي التوحيد وجب إهمال الثالوث، وأمّا إذا احتفظ بالثالوث فقد وقع التناقض بين التوحيد وبينه.

وبعد الأخذ والردّ رأى المسيحيون - على ما يقول غيبر - أنْ يفضلوا التناقض على إهمال الثالوث، فقالوا بـ(إله واحد في ثلاثة).

هذه النتيجة التي انتهوا إليها ونبذوها لقيت مخالفة شديدة جداً عند طبقة أبناء اليهود المُتنصّرين في عهد المسيحيّة، لكنّ المسيحيّة بقوة كنيستها لم تأبه لهذه المقاومة بل عدّتها زندقة وطردت جماعتها منها.

ومهما يكن من أمر فالمسيح هو صاحب الدّين ومؤسّسه، وهو الذي يضع قواعده، وإليه ينتسب، وعلى ذلك فما أمر به كان حقاً ووجب اتباعه.

والإنجيل يحدّث عن المسيح بوجود (روح القدس). ويصفه بأنه معز وروح الحقيقة يقود الناس في طريق السلام، ويهديهم الصراط المستقيم، وهو حاضر معهم حضور الله الأزلي الدائم، ومتى اجتمع عدد من المسيحيين وصفت نياتهم كان روح القدس معهم، وبالاستناد إلى هذا الوعد من المسيح اعتبر روح القدس مبدأ إلهيا دائما حاضرا، يعمل للمسيحيّة - أي للكنيسة المسيحيّة - بعمل الأجلها وفيها.

وتتفق كلّ مبادئ المسيحيّة تقريبا على وجود روح القدس شاهدا أزليا بين المسيحيين، وإذا كان الأمر كذلك فإذا حضر بينهم وأوحى إلى بعضهم وجب أن يُعتبر إيحاؤه من الدّين نفسه، وأن يدخل ما يوصيه في العقيدة، وعلى ذلك فكلّ الاعترافات المسيحيّة التي وردت عن جماعة ثبت أنهم من القديسين ومن المتصلين بروح القدس تكون صحيحة ثابتة، وتدخل في مجموعة العقائد.

ولعلّ هذا الرأي يفسّر لنا السُّلطة الواسعة التي حصلت عليها الكنيسة ولا سيّما الكنيسة الكاثوليكيّة.

ويقول غيبير: إنه ليس في الإنجيل إشارة إلى الكنيسة كمنظّمة تامّة تقوم بشؤون المسيحيين، بل لفظ (الكنيسة) يعني في الإنجيل (مجموعة المسيحيّين) وكتلتهم العامّة وصلتهم الروحانيّة بعضهم ببعض.

نعم نجد في الإنجيل اعتبارا خاصّا لبطرس الرسول، ففي إنجيل متى - ما

معناه – أنّ المسيح قال: (إنّ في يد بطرس مفاتيح السماء، فما أسسه بطرس أسسه المسيح، وما أسقطه أسقطه). على أنّ المسيحيين يختلفون في تفسير هذا القول.

ومهما يكن من أمر فقد وضع الآباء الأوّلون أسس الكنيسة دون أنْ يشعروا أنّهم يؤسّسون شيئا جديدا بدافع من الحاجة إلى وجود كنيسة تضمّ شملهم وتوحّد الرأي فيما بينهم، بالإضافة إلى توحيه اللاّهوتة.

هذا وقد أخذوا شكل الكنيسة وكيانها من شكل كنيسة الديباسبورة، ومن المؤسّسات الوثنيّة اليونانيّة. ثمّ أصبحت الكنيسة جزءا من أجزاء الفقيدة، ولها سلطانها المعروف، ذلك السلطان الذي قلنا إنّه يستمدّ من روح القدس، وما ذكره المسيح عن بطرس.

وعلى رأس الكنيسة في كلّ مدينة (مطران) كانت مهمّته في أوّل الأمر مراقبة أمور الكنيسة، ثمّ ما لبث أنْ أصبح رئيسا لها، ثمّ أصبح رئيس الجماعة المسيحيّة فيها فلا يبتّ أمر بدونه، وهو الذي يسأل عن كلّ شيء، واستمرّ الترئيس قبل القرن الرابع الميلاديّ فشمل نوعا من التسلسل والتدرّج في الكنيسة وفي النظام الكهنوتي، وبأخذ الكهنوت سلطانهم من الآباء الرسل.

وكان المسيحيون ينتخبون المطران انتخابا، ثمّ أصبح المطران يستمدّ شيئا فشيئا سلطة رعايته من غير الكهنوت، يستمدّ تلك السلطة لا سيّما فيما يتعلّق بالاستيحاء من روح القدس. وهكذا أصبح التنظيم الكنسيّ يكاد يكون تامّا وقريبا مما نعهده في عصرنا الحاضر، وأصبح لكرسيّ بطرس في روما مكانة خاصّة استنادا إلى ما قاله المسيح في الجبل مثى.

هكذا نفسّر لنا غيبر تكوّن الكنيسة والمكانة التي وصلت إليها.

وبذلك تمّت في القرن الثالث والرابع الصورة التي تكاد تكون نهائية في

شكلها العام عنِ النصرانيّة كما تعتقدها الطوائف التي تعدّ نفسها أرثوذكسيّة (يعني صاحبة الحق).

وهكذا يظهر لنا كيف تأسّست العقيدة المسيحيّة على الشكل العام، ونظهر لنا المبادئ التي اعتمدت عليها، ويجب أن نقرّر أنّ هذه المبادئ يعتقد المسيحيون أنّهم أخذوها عن صاحب شرعهم وصاحب دينهم وهو المسيح عليه الصلاة والسلام، وأنّهم لم يخرجوا عنِ الأسس التي وضعها، فهو:

= قد ترك بينهم روح القدس يهديهم، وروح القدس قد يهدي الأب بولس إلى طريقة الفداء والإنقاذ (لقرنثيين).

= وروح القدس هو الذي تستمد منه الكنيسة التي أسّست.

= وروح القدس هو الذي يوحي للقدّيسين آراء جديدة لهدي المسيحيين سواء السبيل كما أراه المسيح نفسه.

ويقول لنا غيتير: إنّ الآباء المسيحيين الأوّلين أسّسوا العقيدة والكنيسة، ولم يكونوا يشعرون أنّهم يؤسّسون شيئاً جديداً يخرج عمّا وصفه المسيح في تعاليمه الأولى، ثم تكوّنت بعد ذلك أو أثناء ذلك القدّاس، وظهرت الأناشيد والموسيقى مع القربان المقدّس لتلي فيه، واتخذت المسيحيّة سبلها في العبادة والتهجّد.

النّزاع مع الدّولة الرّومانيّة:

انتشرت المسيحيّة - كما قلنا - خارج فلسطين، وتوسّعت حتّى بلغت جميع الأقطار التي كان يحكمها الرّومان واهتمّت بصفة خاصّة بروما حيث أسّس بطرس كرسيّه، واحتكّت بالدّولة الرّومانيّة، فماذا كان موقف هذه الدّولة منها؟

لم يكن باستطاعة هذه الدّولة أوّل الأمر أن تُرضي عنِ أولئك الذين لا يشاركون في الحياة العامّة، لأنّهم متزهّدون، ولا يؤدّون فكرة الجنديّة والحرب، لأنّهم مسالمون، ولا يحترمون الدّيانة الرّسميّة لأنّها تعبد الأصنام من دون الله،

أولئك الذين يكوّنون جماعات سرية تتخذ من القرارات ما لا يعرف.

لم يغب الرومان هذا الاتجاه، ولم يستطيعوا أن يفهموه، ورأوا فيه خطرا على دولتهم، فتتبعوا أصحابه بالاضطهاد والتعذيب والتنكيل، لكن المسيحيين تحملوا كل ذلك تحملا شديدا وصبروا عليه صبرا جميلا يدل على مقدار تمسكهم بعقيدتهم، وكثر بينهم الضحايا ولا سيما في أيام الصغرى في عهد (تراجان) وفي عهد (مارك أوريل) على أن كل هذا الاضطهاد مع كثرة عدد الضحايا الذين كانوا يعرضون على الوحوش تأكلهم أمام الناس، كل هذا لم يفت في عضد المسيحيين، ولم يجد الرومان نفعا، وامتد الزمن وإذا بحماة المسيحية يكثرون، ويعتنق النصرانية بعض المتنفذين، حتى إذا أتى (قسطنطين) وشعر بحاجة إلى الإيمان بالله قبل أن يسير في حرب ضروس من حروبه عام (٣١٣ م) وضع منشورا عرف بـ (منشور ميلان) عد فيه إله المسيحية مضاف الآلهة الأخرى، فحل إذن إلههم مع غيره، وسمح لهم بممارسة دينهم.

على أن المسيحيين ما زالوا يلقون المعاناة من قبل الأرستقراطيين الذين يعتمدون آلهة الرومان، ويأخذون سلطانهم منها، والذين هم متمسكون بعباداتهم القديمة للأصنام. ونساء المسيحيين مع هؤلاء وأمثالهم فأدخلوا في عقيدة النصرانية شيئا يعوضهم عن عبادة الأصنام، ألا وهو (تقديس القديسين) ثم قويت الديانة المسيحية وانتشرت، وإذا بها تصبح الديانة العامة للإمبراطورية الرومانية.

* مقارنة بين النصرانية والبرهمية:

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: والقول الجملي أن اليهود يعتقدون في

كرشنة[1] ما يعتقده المسيحيون في المسيح. وقد عقد صاحب كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) موازنة بين أقوال الهنود في كرشنة، وأقوال المسيحيين في المسيح، فتقارب الاعتقادان حتى أوشكا أن يتطابقا. وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرّفة، فقد علم إذن المشتق والمشتق منه، والأصل وما تفرّع عنه[2].

ونَقْلُ لنا بعضاً من هذه الموازنة على سبيل المثال، وغيره يُقاس عليه

أقوال الهنود الوثنيين في كرشنة ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله
كرشنة: الغير المحتضر والمخلّص والمنجي والمفدي والمحامي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس. وهو الأب والابن والروح القدس!	يسوع المسيح: الغير المحتضر والمخلّص والمنجي والمفدي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس. وهو الأب والابن والروح القدس!
١- لقد عجّت ملائكة بيت لحم في ولادة كرشنة بن دفا، وقالوا يجب للكون أن يفتخر بهذه العذراء. • كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣٢٩.	١- دخل الثلاثة على مريم العذراء ولدة يسوع المسيح وقال له ملاك الله أيها النعم عليها، الرب معك. • يجب توقّف الاصحاح ٣، ص ٢٨ – ٢٩، والجيل شرح الاصحاح ٢.
٢- عرف كاهن ولادة كرشنة من نجمه الذي ظهر في السماء. • كتاب تاريخ الهند المجلد ٢، ٣٠٧، ٣٦٧.	٢- قد ولد يسوع المسيح ظهر نجمه في المشرق وبواسطة المجوس نجمه عرف كاهن محل ولادته. • إنجيل متى الاصحاح الثاني العدد ٣
٣- قد ولد كرشنة سجدت الأرض وأزهرت الغبر بورود ونزلت الأنوار وهتفت ملائكة السماء فرحاً وطرب وترنم السحاب بأنشودة مفرحة. • كتاب فشنو پران ص ٥٠٢.	٣- قد ولد يسوع المسيح ظل ملائكة فرحة وسروراً وظهر من السحاب أنشودة مفرحة. • إنجيل لوقا الاصحاح الثاني العدد ٣١.
٤- كان كرشنة من سلالة ملوكية ولكنه ولد في مغارة بجبل البقر وأطفل. • كتاب براون ص ٢٩٧.	٤- كان يسوع المسيح من سلالة ملوكية ولد بمولده اعتصب اليهود ولكنه ولد في حظيرة بقر وأطفل بعار. • براون ص ٢٧٩.

(١) كرشنة أحد آلهة الديانة البرهمية. وسيأتي الكلام عنه عند الحديث عن الهندوسية.

(٢) مقدمة الأنيس ص ٢٩ – ٤٠.

٥- ثم ولد قرشة ثلثي العمر، شهر عقب وجهز وجه أنه ديفتي برسل أسقفة سور وجد. • برار ص ٢٩٧.	٥- ثم ولد يسوع المسيح أثناء حكم هيرودس الملك لليهودية حين ذهبت إلى مصر عقب أنه يوسف النجار. • إنجيل للقديس متى الإصحاح ١٢ و العدد ١٣.
٦- ومن بعد ما وضعته حملت تبكي وتندب سوء حالة بناته تكتمهم وتعزاها. • تاريخ البطاركة ٣٠١/٢.	٦- وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل: يا مريم أنا يسوع بن الله وجئت كما أخبرت جبرائيل الذي أرسلته إلى أنبيت وقد أتيت لأخلص العالم. • إنجيل الطفولية الإصحاح ١ و ٢و٣.
٧- وعرفت العذراء أن قرشة أنه وسجدت له. • برار ص ٢٧٩.	٧- وعرفت العذراء يسوع وسجدت له. • إنجيل يوفا الإصحاح الثاني عشر ٨ – ١٠.
٨- وأمين الثاني بكرشة واعترفوا بالاهوته وقدموا له هدايا من عسل وشب. • التسبحات الشرقية ٥٠٠. وتسبحات الصبغة ٢/ ٣٥٢.	٨- وأمين الثاني سجد يسوع وعرفوا بالاهوته وقدموا له هدايا من عسل وشب. • إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد ٢.
٩- وسمع من اليهود الذين ولد لطفل الاهي قرشة فسافر وزار في (نوفسوا) وفحص بتجربة الذي له من فحصها أنه مولود إلهي يعمد. • تاريخ البطاركة ٢٠، ٣٠٧.	٩- ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك، جاء مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود. • إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد١، ٢.
١٠- ما ولد قرشة كان الناس) خطب أنه ديفتي عند من أنبيت حيث أتى إلى مدينة التي يدفع له عليه من الخروج لمملك. • كتاب فشر يورنا الفصل ٢ من الكتاب٥.	١٠- ولما ولد يسوع كان خطب أنه ملك من الشرق وأتى التي يدفع له عليه من الخروج لمملك. • إنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد١٠ – ١٢.
١١- ولد قرشة بعد الذل والفقر مع أنه من عائلة مشهورة. • التسبحات الأسبوعية ٢٥٩/١. وتاريخ البطاركة ١٣٠/٢.	١١- ولد يسوع المسيح بعد الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكية. • نفس المعنى في إنجيل متى وإنجيل لوقا.
١٢- وسمع بعد خطب أنه ديفتي ولد قرشة ابنه من أنسانه يقول له: قم وخذ ابنك وأمه فيهما إلى كرون (القطع نهر جمنة لأن الملك طلب ابنك.	١٢- وأنذر يوسف النجار خطب مريد ولد يسوع بحلم في يوحد ابنك وأمه وفر بهما إلى مصر لأن الملك طلب ابنك.
• كتاب فشر يورنا الفصل الثالث	• إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١٣.

١٣- وسمع حنة النبأ بولادة قرشة لطفل الإلهي وطلب قبل أن يوصل إلى أمه أن يعتني كافة الأولاد الذكور سبعين يوماً في القبة التي ولد فيها قرشة. • دوار ص ٢٥٠.	١٣- وسمع حنة النبأ بولادة الطفل يسوع الإلهي وطلب قبل أن يوصل إلى أمه أن يعتني كافة الأولاد الذكور سبعين يوماً في القبة التي ولد فيها يسوع المسيح. • إنجيل ميلاد الإسحاق الثاني.
١٤- وأسس المدينة التي ولد فيها قرشة المطران وفيها عمل الآيات العجيبة ومع ذلك فإن اليهود لا يعترفون به على الرغم من أن الأنبياء القدامى من قرشة إلى آخرهم تنبأوا عنه وعن أعماله. • تاريخ الهند ٢/ ١٧، و شعبات الأسرة ١/٢٥٩.	١٤- وأسس المدينة التي ولد فيها يسوع المسيح ومع هذا فإن اليهود لا يؤمنون به على الرغم من أن أنبياء وقديسين عديدة. • المقدمة على إنجيل العطرية لأنيف مجدي.
١٥- كانت ولادة المسيح وما قبل ظهور قرشة في السموات بزمن قليل وقد سمى ذلك الملك في ميلاد المسيح وما بعد قرشة بشر. • تاريخ الهند م٢، ٢١٦.	١٥- وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سمى الملك هيرودس في ميلاد الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح. • إنجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الإسحاق الثاني.
١٦- وروى قرشة من الرحلة التي جرى به إلى مصر أنه في الخروج عندما دخل المعبد أنه معبد حجري وفي وقت قليل قرأ على الكاهن في العطرية والعبادة في الفصل الثالث والعشرين الذكرية الذهبية. • دوار ص ٢٥٠ وتاريخ الهند ٢/٣٢١.	١٦- وأرسل يسوع المسيح إلى حنة الكاهنة أحرفاً كي يعلمه فكتب له أحرف ألف- باء- وقال ليسوع قل- ألف- فقال المرتبة يسوع المسيح أولاً عن معنى حرف الألف ومن بعده قبل حرف باء فنهره معلمه يسوع بالضرب فعلمه يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن حروف الشفوية والحروف السحية والحروف الشادة والتي لها خط وحركات والتي ليس لها خط إذا وصفت في هذا الترتيب أي بعكس الحروف في غيره وتفكر بغير من أسبوع لم يسمع به معلمه من قبل ولم يعرفها في كتاب. • إنجيل الطفولية الإسحاق العشرين عدد١ إلى ٨.
١٧- وفي أحد الأيام كان قرشة مسرعاً مع قطيع من البقر فحذرته منذ عليهم وذهبت كل بقرة إلى المكان الذي عينه لها ذلك. • تاريخ الهند القديم ص ٣١٢.	١٧- وفي يوم أن جمع يسوع الأولاد وأنبههم قائلاً منعت عليهم وإذا سرب أحد كان يحدوه غصباً ويأمره بالسجود لملك. • إنجيل الطفولية الإسحاق ١٨ و ١- ٣.

١٨- قرشة حلب رمت على الصليب.	١٨ - يسوع صلب ومات على الصليب.
١٩- ويسرق يحتفل أصحاب قرشة مع عجوزهم وأخذوه يسرقون في دور فجأة قرشة أصبحاً وعجوزاً مثلهم في شكل وهيئة. = تاريخ الهند المجلد الثاني ص ١٥ وكتاب حرافات الأولين الجزء الثاني ص ١٣٦.	١٩- وأخذ الأولاد الذين يلعبون مع يسوع ثيابهم في ذراعهم فساروا إلى جهة بعيدة فناداهم يسوع تعالوا إلى هنا يا أيها الأولاد للعب فأجابت تلك الجماعة إلى جهته الأولى حينما. • إنجيل القديس لوقا الإصحاح ١٨.
٢٠- وأول الآيات والمعجزات التي عملها يسوع المسيح هي بناء الأرض. • إنجيل يوحنا الإصحاح الثاني عدد ١١.	٢٠- وأول الآيات والمعجزات التي عملها يسوع المسيح هي بناء الأرض. • تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٩.
٢١- وأول قرشة بامرأة فقيرة معدمة وتعب إذ به جاء وزيت وحمل ورمقرن وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت به جسد قرشة بدلالة مخصوصة وسكبت الباقي على رأسه. • تاريخ الهند المجلد الثاني.	٢١- وفيما كان يسوع في بيت عنيا في معدن الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ. • سر الإصحاح ٢٦ عدد ٦- ٧.
٢٢- وفي أحد الأيام لعبت جماعة يحتفل أصحاب قرشة الذي يلعب منهم فصار يسقط عليهم ثوبه الأكثر ويطير إليهم بدل أوجاعة كانوا يريدون الموت وعادوا أحياء. = تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣٤٣.	٢٢- وبينما كان يسوع يلعب لعبة جماعة أحد عصيان الذين كان يلعب معهم فلعب يسوع ذات العصى بيده فطار في جو صحته. = إنجيل القديس لوقا الإصحاح ١٨.
٢٣- لما مات قرشة حملت معه أنواعاً متنوعة والكثير من الطيب ليكفن من فوق إلى تحت. وأظهرت أشعة من وراء وتجمعت أسنة نار حامية وصار الشياطين يقيمون في الأرض وبعد ذلك توقف من الأنواع في جو السماء يتراجعون صحة وبعد وكان ظهورهم في كل مكان. • إنجيل يوحنا الإصحاح الثاني والعشرين وإنجيل لوقا.	
٢٤- وكتب جسد قرشة بحرية. • ديوان ص ٢٥٣.	٢٤- وكتب جسد يسوع بحرية. • ديوان ص ٢٥٣.

٢٥- وقد كرشة تلصيبا تدعى بعلزبلية وهو مصلوب اتجه أيها الصديق عطوف يرحمني إلى السماء مسكن الآلهة. ▪ قارن ص ٢٥٢.	٢٥- وقال يسوع لأحد تلاميذ الذين تبعه اتبعني دعه الموتى يدفنون موتاهم بل يذهبون ويعلنون ملكوت الله. ▪ يخبئ كونك الإصحاح ٢٣ عدد ٣ - ٤.
٢٦- وولدت كرشة ٧ أولاد من بين الآلهات. ▪ قارن ص ٢٥٢.	٢٦- وولدت يسوع ٧ أولاد من بين الأموات. ▪ أنجيل من الإصحاح ٢٨.
٢٧- ويزن كرشة في الجحيم. ▪ قارن ص ٢٥٢.	٢٧- وزن يسوع في الجحيم. ▪ قارن ص ٢٥٢. وكتاب الإيمان المسيحي.
٢٨- وصعد كرشة مجددا إلى السماء وكثيرون سلالة صعدا. ▪ قارن ص ٢٥٢.	٢٨- وصعد يسوع إلى السماء وكثيرون سلالة صعدا. = يخبئ من الإصحاح الرابع و لكثير.
٢٩- وسوف يأتي كرشة في اليوم الأخير ويكون طبيرة تقدير مدحج بسلاح وركب على جواد أشهب وعند مجيئه تغطي الشمس والقمر وتزلزل الأرض ويهتز ويتساقط نجوم من السماء. ▪ قارن ص ٢٥٢.	٢٩- وسوف يأتي يسوع في اليوم الأخير تقدير مدجج بالسلاح وركب على جواد أشهب وعند مجيئه تغطي الشمس والقمر وتزلزل الأرض ويهتز وتتساقط نجوم من السماء. ▪ أنجيل من الإصحاح ٢٤.
٣٠- وهو أي كرشة يميت الأموات في اليوم الأخير. ▪ قارن ص ٢٥٣.	٣٠- ويميت يسوع الأموات في اليوم الأخير. ▪ من الإصحاح ٢٤ ع ١ - ٣ ورسالة كورنثوس.
٣١- ويعلمون أن كرشة أعطاهم الكلي سي وبنوآداد كان سي، لما كان فيهم الصانع الأبدي. ▪ قارن ص ٢٥٢.	٣١- ويعلمون أن يسوع المسيح أعطاهم الكلي سي، وبنوآداد كان سي، لما كان فيهم الصانع الأبدي. ▪ أنجيل يوحنا الإصحاح ١ من ع ٣، ١ ورسالة كورنثوس الأولى الفصل الإصحاح ٣ ع ٩.
٣٢- كرشة الألف والياء وهو الأول والوسط والآخر قال سي. ▪ قارن ص ٢٥٢.	٣٢- يسوع الألف والياء وهو الأول والوسط والآخر قال سي. ▪ سفر رؤيا الإصحاح الأول العدد ٨.
٣٣- كان كرشة يحب تلاميذه أكثر من بقية التلاميذ. ▪ كتاب يوحنا ذكرت ذلك.	٣٣- كان يسوع يحب تلاميذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ. ▪ أنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ العدد ٢٣.
٣٤- ما كان كرشة على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مسلح بالأخطار التي	٣٤- ما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مسلح بالأخطار التي كانت تحدثه وكان يشفي تلاميذه بعمل

كنت تكشف وتشفيه بعمل العجائب بالآيات كوجهه كنت وشفاء الأبرص والأعمى والأعرج وإعادة سمع الأصم كما كان أولاً. وبعبارة أخرى ضعف على القوي. وعظمه على ثلاثة وكذلك ذلك يعلمونه، ويدعون عليه ويعبدونه أيضاً.	للعجائب والآيات. كوجهه أنت وشفاء الأبرص والأعمى والأعرج والأعمى والفريض. ويعبر الضعيف على القوي والعظماء على فئة. وكذلك الذين يؤمنون عليه ويعبدونه أيضاً. • نفس الإنجيل ورسائل أخرى كثير من هذا الذي ذكرته.
٣٥- وفي حضور أرجوب بنت فيلة كرشة وأخذ وجهه كالشمس وبعد ذلك أعمى اجتمع إله فأعمى أرجوب وأنه تمادا وبهيبة وتكشف توضعا وذل بحراء: الآن رأيت حقيقة كذا أنت وإن أرجو وحدث به رب الأرباب فعاد وأظهر في مسؤولة لأنه أنت الحبيب ومكلوت. • نفس المعنى تقريباً في يعبر من ٢١٥.	٣٥- وبعد ساعة أن أحد يسوع بصرخ ويصوب ويوحد أنه وحدة يده إلى جبل لأنها من سفرين وأشرت هيئة قدميه وأعضاء وجهه كالشمس وصرت ليلة يبدأ كالنهار وليلها هو يخلق. وساعة يرة فأنهم وصرت من ساعة قبل هذا هو أن حبيب الذي سرت له أسمعوا هذا سمع التلاميذ متفقوا على وجهه وخافوا جداً. • نفس هي الإصحاح الأول عدد ١ إلى ٩.
٣٦- وكان كرشة خير أنه خلقاً وخلق وعلم بإخلاص وصبح وهو الضعيف ضعيف الإنسانية وقد تنازل رحمة وبداعة وعمل أرجل التلاميذ وهو الكامل الطيب الصدر ظهر ذا بالناسوت. • أترجع نفس هي ١٤٤.	٣٦- كان يسوع خير الناس خلقاً وخلقه وعلمه بإخلاص وهو مظهر الضعيف مكمل الإنسانية وقد تنازل رحمة وبداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكامل الطيب الصدر ظهر ذا بالناسوت. • بالجيل يوحنا الإصحاح ١٣.
٣٧- كرشة هو براهما الطيب الصدر وظهوره في الناسوت سر أسراره العظيمة الإلهية. • فيلوبيون الثاني ٢٩٢ سرج جنيبة ٣٤.	٣٧- يسوع وديبوه الطيب الصدر وظهوره في الناسوت سر أسراره العظيمة الإلهية. • رسالة فيلبي الأول الإصحاح الثاني.
٣٨- كرشة الأخوة الثاني من ذلك الصدر عند اليهود توثيق الكاذبين بأوجه. • كتاب موسى ويعبر تعاهم الصدق.	٣٨- يسوع الأخوة الذين في الناسوت مصلبين على الصليب. • نفس قولة كنيسة الدينة وكذلك الأناجيل والرسائل.
٣٩- وأمر كرشة قيل من يطلب الأبدان بإخلاص أن يفعل	٣٩- وأمر يسوع قيل من يطلب الأبدان بإخلاص أن يفعل

بإخلاص أن يشرك أولادك وكافة ما يشتهيه ويحبه من مجد هذا العالم ويذهب إلى مكان خال من الناس ويتفكر بصوره في ذلك المكان. ▪ رياضة الهيوذ تورمي ويعقبها ٢٠١٩.	فصار هو وأنا أنت فسي حسابك تدخل إلى محدعك وتغلق بابك وتصلي إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية. ▪ تجيل بوحنا الإصحاح ٦ عدد ٦.
٤٠- وقال كرشنا للتلميذ حسب أجوبة ابنت خطاياه وبهما أخطأت القدير وبهما أذلت وبهما قربت من قربان وبهما قدمت من الأقذار المقدسة فليكن جسمه بإخلاص أن أحكمه وأعلمه سبل بيداء وأنا أحفظ مسطر والحافظ. ▪ رياضة الهيوذ تورمي ويعقبها ٢٠١٩.	٤٠- إذا كنتم تكتبون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله. ▪ رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح ١٠ ع ١-٣.
٤١- قال كرشنا أن علة وجود الكائنات في كمت وفي كمر وعلل جميع ما في الكون يذكل وفي يدلل كالؤلؤ المنظوم في خيط. ▪ رياضة الهيوذ تورمي ويعقبها ٢٠١٩.	٤١- من يسوع إلى يسوع وليسوع كل شيء وكل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. ▪ تجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ٣١
٤٢- قال كرشنا أنا النور الكائن في الشمس والقمر وأنا النور الكائن في النهب وأنا نور كل ما يضيء ونور الأنوار أنسي في غضنة. ▪ رياضة الهيوذ تورمي ويعقبها ٢٠١٩.	٤٢- فكلمهم يسوع قائلاً أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة. ▪ تجيل يوحنا الإصحاح ٨ العدد ١٢.
٤٣- قال كرشنا أنا الحافظ لمحدعك وربه ومنجوه ومقيمه. ▪ زيارة من ٢٠١٩.	٤٣- قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي الآب إلا بي. = تجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر عدد ٦.
٤٤- وقال كرشنا. أنا صلاح الصالح وأنا الابتداء والوسط والأخير والأبدي وخاتم كل شيء وأنا فيوه ومهيمنه. ▪ رياضة الهيوذ تورمي ويعقبها ٢٠١٩.	٤٤- وقال يسوع. أنا هو الأول والآخر وفي مفاتيح الهاوية والموت. ▪ رؤيا يوحنا الإصحاح الأول ع ١٨ – ١٧.
٤٥- وقال كرشنا لتلميذه الحبيب. لا تحزن يا أرجوه من كثرة فيوت أن تحفظ منها فقط تحزن وتتوكل علي. واتمسن وسجد لي. ولا تحصر أحداً سواي. لأنك هكذا	٤٥- وقال يسوع للمفلوج: قم يا سي مطرحة ذلك حضيدك، يا بني أغفرت قيوت وعديدة لا تشرع أن تسمس ولا إن قمر بخطيئة فيت الحروف سراجها. = مي الإصحاح ٩ ع ٢. سفر الأعمال الإصحاح ٣٢ ع ٢٦،

تأتي إلى السكان العجب الذي لا حاجة فيه لصوم الشمس والقمر الذين يرحمه الله. • نبوءة اليهود لوثرية وبعض من ٢٠١٣.	سفر الرؤيا الإصحاح ١٢ ع ٢٣.

مقارنة بين النصرانية والبوذية:

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: ومن الغريب أن الأوهام التي جعلتها بوذيو التبت أوصافاً لبوذا تتوافق مع ما ينحله المسيحيون شخصية المسيح بعد تغيير النصرانية. وها هي ذي بعض المقابلات بينهما لتعرف وجه التطابق. (منقولة من كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)[1]

أقوال البوذيين الوثنيين في بوذا ابن الله	أقوال النصارى في المسيح ابن الله
١- كان محمد بوذا بواسطة حلول روح القدس على مريم العذراء.	١- كان محمد يسوع المسيح بواسطة حلول روح القدس على العذراء مريم.
٢- لم تزل بوذا من محمد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا حين رحمها كالبخار الشفاف الذي ظهر بوذا فيه تجربة حسنة.	٢- لم تزل يسوع من محمد الروح القدس ودخل في جسد مريم العذراء حين رحمها كالنور تجربة حسنة. الشفاف الذي ظهر به يسوع
٣- وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه النجم بوذا.	٣- وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في الشرق. وقد ورد في الواحات أن يدعى النجم المسيح.
٤- لما ولد بوذا ترجت جميع السماء وزلزلت الملائكة أسرعت فجد لتعويذ تبارك قائلين: ولد اليوم بوذا على الأرض في بعض الناس بسرات وسلام ويسبل النور على ظلمات الظلمة وبهت بصر الناس.	٤- لما ولد يسوع ترجت ملائكة السماء والأرض وقالوا الأنبياء حسنا للواحد الذي قالوا: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض سلام وبشائر للبشر.
٥- وعرف حكماء بوذا وأخبروه أسرار لاهوته ولم يعلم بوذا على ولادته حتى جاء الناس وعبدوه إلهاً. • براز ص ٢٩٠.	٥- وقد زار الحكماء يسوع وأخبروه أسرار لاهوته ولم يعلم يوسف على ولادته حتى عبدوه إلهاً الأنبياء. • بخيال من الإصحاح الثاني من عدد ١ إلى ١١.
٦- وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وبخوراً	٦- وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب

(١) مصدر ص ٤٥ - ٦٨.

من الأسماء الكتمة. • ورار ص ٢٩٠.	وطب. • نجيل متى ص الإصحاح ٢ عدد ١١.
٧- ما كان يوسف عقلا قال لامه ومن اجله الناس حسبه. • كتاب هروي العقد الثمين (١٤٥١-١٤٦٠).	٧- كان يسوع عقلا قال لامه مريم الناس حسبه. • إنجيل لوقا الإصحاح ١ عدد ٣.
٨- كان يوسف ولدا عجفا وقد سعى الملك فيسرا وراء قتله لما اخبره ان هذا الغلام سيرزق ملك من بعده ص حبا. • كتاب تاريخ اليوسفية تأليف نبال ص ١٠٤- ١٠٣.	٨- كان يسوع ولدا عجفا سعى الملك هيرودس وراء قتله لما اخبره ان هذا الغلام سيرزق الملك من بعده. • نجيل متى الإصحاح الثاني العدد الأول.
٩- لم أرسل يوسف الى المدرسة لانه لم يكن لاستاذ مع كونه يدرس من قبل ويفوق الجميع في الكتابة والرياضيات والعلوم الطبية والهندسية والتنجيم والكيمياء والعرافة. • هروي (العقد الثمين يوسفية) وتاريخ اليوسفية نبال.	٩- لم أرسل يوسف الى مدرسة لانه كان معلمه ذاخيوس يقال لابيه يوسف العهد أتى بولده لاتعلمه مع انه أعلم من كل معلمه. • إنجيل الطفولية الإصحاح ٢٠ عدد و في نوق.
١٠- لما صار عمر يوسف اثنى عشرة سنة دخل الهياكل وصار يسأل عن كل مسائل غريبة ويوضحها لهم حتى قال كلمة مناظريه. • يشي (الملاك الشيخ) ص ٣٧.	١٠- لما صار عمر يسوع اثنى عشرة سنة جاء به الى أورشليم وصار يسأل الاحبار ويحل مسائل مبهمة ويوضحها لهم والجميع. • إنجيل الطفولية الإصحاح ٢١ عدد ٢١.
١١- ويوم ولد مرة أحد الهياكل قدمت الاصنام من أماكنها وسجدت عند رجله سجودا له. • يشي (الملاك الشيخ) ٦٧ إلى ٦٩.	١١- ويوم مرة قرب حمص الأصنام ذاهت الأصنام رؤوسها سجودا له. • إنجيل يشوعيوس الإصحاح الأول العدد ٢٠.
١٢- ويقصون حتى خرافة يوما ان ابنه اسحاق ذبح في أحد قممه من سلالة الموثقية في مدة سحيم وهو على إحدهما أول مدة حمر في الذبح. و حوادث والأسماء المذكورة في كتاب اسبوز إلى اليهودي. وجدير بالتنبيه غير أنه لا يكن تحصيل حوادث وسنها مع غيرها وحتى ذلك هو أن مؤرخي اليوسفية اخترعوا فيها أسماء لكثير من ملوك حكيمهم ترقى اختراعه إلى سنة.	١٢- ويقصون سلالة يسوع من أبيه يوسف في أسحاق مختلفون وقليهم من سلالة متوقية في أنه أن نسب وكثير من الأسماء و حوادث مذكورة في سلالة مذكورة في التوراة كتاب اليهود.
• ورار ص ٢٩.	

٩٣- ما عاد يودا على نساجة قصد شمعد وانتشك وطبق عليه (فارا) أي انشبطان في يجربه. ▪ ورار ص ٢٩٢.	٩٣- ما سرع يسوع في الشبير ظهر له شبحص في يجربه. ▪ نجيل مر الإصحاح ٤ عدد ١- ٨.
٩٤- وقال مر (الشيطان) نودا لا تصرف حياتك في الاهتمار شبية لانك عدا سنة هدد أيه تصير مدة الحب. ▪ ورار ص ٢٩٢.	٩٤- وقال (أي يبلس) له (أي يسوع) أعطيت أي نساء جميعها، حريت بي وسحدت لي. ▪ نجيل مر الإصحاح ٤ ير ١٠- ١١.
٩٥- فلم يب يودا بكلاه استبصر بل قال له: اذهب خبر. ▪ ورار ص ٢٩٢.	٩٥- فأجابه نسيع وقال: اذهب يا سيطان. ▪ يغيل لوقا الإصحاح ٤ عدد ٨.
٩٦- وبذ ترك مدر (أي شبصر) شجرة يودا انطرت السعده وهرأ وطيب بلا اليهود عجب عرفه. ▪ ورار ص ٢٩٢.	٩٦- ثم تركه يبلس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه. ▪ نجيل مر الإصحاح ٤ عدد ١١.
٩٧- وصار يودا وقتا طويلا. ▪ ورار ص ٢٩٢.	٩٧- وصار يسوع وقت طويلا. ▪ نجيل مر الإصحاح ٤. عدد: ٢.
٩٨- وقد عمد يودا نحاضر حين عمدته بنات وذار روح الله حاضر، وهو لم يكن الإله معقب فعط بل روح الصدس الذي فيه صير شبسه فوعدا ما حل على معمد ميه. = كتاب ملاك مسيح ص ٤٥ تأليف بعض.	٩٨- ويوحد عمد يسوع نهر الأردن وخرج من حاضرة وهو لم يكن الإله نصب فعط بل وروح الصدس الذي فيه تجسد عندما حل بالتعدار مري فهو الأب والابن وروح الصدس. ▪ نجيل مر الإصحاح ٧ عدد ٢، ١.
٩٩- وبذ كان يودا على الأرض في أواخر أيامه مدة حيته وهو ذاهب على جبل (بداق) أي الأسفر (بيت في اسبلان) وبزل عنه بغتة نور أحدق برأسه على سكن الجبل ويهوذا ان جسده الحي، هو عظيم وحبر كتمثال من ذهب براق نصبره كالشمس أو القمر وجبل نحول إن ثلاثة أقداه مختلفة وجسم رأى الحاضرون هذا التحول في حيته قليلا ما عدا يشوع وهو لا إله عجب. ▪ كتاب ملاك مسيح ص ٤٥.	٩٩- ثم كان يسوع على الأرض بذلك حيته وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور.

٢١- وعمل يوما طعاما وأتت بطعمة غير التي وقعت للمصلين مجتمعة فيه جارية لذكرى أطعمه المجانب ما يمكن تصوره. ▪ ديوان ص ٢٩٣.	٢١- وعمل يسوع عجائب وآيات مختلفة غير التي وقعت للمصلين مجتمعة به جارية لذكرى أطعم العجائب ما يمكن تصوره. ▪ انجيل متى الإصحاح ٨، ع ٢٨- ٣٤، ويخيره.
٢٢- وفي صلاته ليودا يأمل المؤمنون به تحول قلوبهم. ▪ ديوان ص ٢٩٣.	٢٢- وفي صلاته ليودا يأمل المؤمنون به تحول قلوبهم. ▪ ديوان ص ٢٩٣.
٢٣- ما مات يودا ودفن تحت الأكمة وقبح الثعبان حوا في طبيعة التي يهوديا أنثى. ▪ كتاب مصحف ملاك النبي: ٤٩.	٢٣- ما مات يسوع ودفن تحت الأكمة وقبح الثعبان حوا في طبيعة التي يهودية أنثى. ▪ انجيل متى الإصحاح: ٢٨، ويوحنا: ٢٠.
٢٤- وصعد يودا في السماء بعد ما أكمل عمله على الأرض. ▪ ديوان ص ٢٩٣.	٢٤- وصعد يسوع بعد ما أكمل عمله على الأرض. ▪ أعمال الرسل الإصحاح ١ عدد ١- ١٠.
٢٥- ويوسف بن يودا مرة ثانية إلى الأرض ويجيء السلام والشركة فيها. ▪ ديوان ص ٢٩٣.	٢٥- ويوسف بن يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويجيء السلام والشركة فيها. ▪ أعمال الرسل الإصحاح الأول.
٢٦- وسيجيء يودا الأموات. ▪ ديوان ص ٢٩٣.	٢٦- وسيجيء يسوع الأموات. ▪ انجيل متى الإصحاح ٦، عدد: ٢٢.
٢٧- يودا الأكف والذي نبي له اسمه وهو الكائن العظيم، والواحد الأزلي. ▪ ديوان ص ٢٩٣.	٢٧- يسوع الألف والياء نبي له اسمه وهو الكائن العظيم، والواحد الأبدي. ▪ إنجيل يوحنا الإصحاح ١، عدد: ١.
٢٨- قال يودا: فلتكن الثوب التي ارتكبت في هذا اليوم عليه، ليخلص العالم من خطيئة. ▪ كتاب مولد تدبير الآباء المسكونية ص ٨٠.	٢٨- يسوع هو خلص العالم وكانة الثوب التي ارتكبت في عدله تمنع عنه من النير فتوفيه ويخلص العالم. = ديوان ص ٢٩٣ وذلك لعلم النبي.
٢٩- قال يودا: احفظوا الأعمال الحسنة التي تطلبوه، واعترفوا بذنوبكم علانية. ▪ مولد كتاب الدهر المطهر الذهبية ص ٢٨.	٢٨- قال يسوع: احفظوا الأعمال الحسنة التي تطلبوه، واعترفوا بذنوبكم علانية. ▪ انجيل متى صحا ٦، ع ١، ورسالة يعقوب.
٣٠- ويعطون يودا ذات من نور غير طبيعة النير	٢٩- ويعطون يسوع له ذات من نور طبيعة

...ورد (وبدعوته أيضاً أجيبا) إذ هي مضافة غير ملتبسة. • يقصر الملاك المسيح: ٣٩، وبولس: ٢٩٤.	...تقصي بن وعدوه الشيطان الحالة الحاضرة. • إنجيل يوحنا الإصحاح ٤ العدد ١، وإنجيل لوقا.
٣٠– وفي أحد الأيام كان يسوع يتعلم بيوت، وهو يسير في الطريق بالقرب (الحي) وهي من سبط الكهنة الرؤساء، قرب بيت عنيا. فطلب منه تلاميذه أن يذهبوا ويأخذوه على سبيله وأنه لا يجوز له أن يتجاوب معه. لأنه من سبط محتقر. فقال لهم أنتم على غير أسلوك على سبطك وعلى عاداتك. قد سألتك سرية منه فضرت من ذلك حين تعجبوا يودية. • كتاب مولد سيدنا المسيح المدينة ص ١٤٠.	٣٠– وفي أحد الأيام كان يسوع قريب من بيت عنيا بعد ما سار مسافة. حين كان يهوذا الكاهن وبيته هو قريب جداً من مدينة الناصرة أتت امرأة سامرية لتملأ جرتها من البئر. فطلب إليها يسوع أن تعطيه سرية وقد فعلت له المرأة السامرية: أنت يهودي وكيف تطلب مني سرية وأنه ليس لا يتعاملون مع السامريين. • إنجيل يوحنا الإصحاح ٤. عدد ٧ : ١١.
٣١– قال يسوع لا تظنوا أني جئت لأنقض في الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأتمم. • إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد: ١٧.	٣١– قال يسوع لا تظنوا أني جئت لأنقض في الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأتمم. • إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد: ١٧.
٣٢– ويجب تعليم يودا يجب أن تكون ثابتة أمامك مع أعمالك وجميع بصفة واحدة.	٣٢– وقال يسوع أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم.
٣٣– وفي أول أيام يودا التي هي وبيت لها ذهب إلى مدينة يشرع وهي فيها فتحه كوبدينا ٤ تبعه أربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلاميذ له. ومن هناك صار أيضاً له وكرز بتبعه رجال وسبعة كثيرون يصيرون من أتباعه وتلاميذه.	٣٣– وفي أول أيام يسوع التي هي وبيت لها ذهب إلى مدينة تقع بجوار وتدعى فيها تتبعه من تلك المدينة أربعة رجال جميعهم وصاروا تلاميذ له. ومن هناك صار أيضاً كثير وتبعه رجال وسبعة كثيرون يؤمنون به. • إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ١٣–٢٥.
٣٤– وفي يودا تلميذ صاروا تلاميذ يتركون الذهب والفضة ويصيرون عبيد الفقر والقناعة. • هربرت في كتابه الشعر الروحانية في الشرق ص ٥، ٦٠.	٣٤– وفي يسوع تلميذ صاروا تلاميذ له يتركون غنائمهم ويصيرون عبيد الفقر والقناعة. • إنجيل متى صحة ٨ عدد ٢٠، ١٩، و صحة ١٦ و ٢٦ – ٣٥.
٣٥– وجاء في كتاب الخازن لمقدسة أن جميع طلبوا من يودا علامة لأي آية يؤمنوا به.	٣٥– وجاء في كتب العهدين المقدسة أن جميع طلبوا من يسوع آية لي يؤمنوا به.

▪ كتاب عجائب الأمور ص ٣٧ تأليف بولس.	▪ نجيل متى الإصحاح ١٦: عدد ١٨.
٣٦- ثم اقترب انتهاء أيام بولا على الأرض وضعه الخوارق الصالحة التي صنع قبل تنصيبه. لكنه ما زال يقدر على أن يعمل لأنه لم يعد بولا بوجود كل. فالكلام الذي قاله والفرائض التي شرعها لكون حافظ على وجي لك قادر أن.	٣٦- ثم اقترب انتهاء أيام بولا على الأرض وضعه الخوارق الصالحة التي صنع قبل تنصيبه. لكنه ما زال يقدر على أن يعمل لأنه لم يعد بولا بوجود كل. فالكلام الذي قاله والفرائض التي شرعها لكون حافظ على وجي لك قادر أن.
▪ كتاب الوصية الشرقية ص ٢٣٠ تأليف هرودي.	▪ نجيل متى الإصحاح ٢٤ والرؤيا يوحنا الصحاح ٨ إلى ١٢.
٣٧- وجده في كتابه اليونانية أن يعمل الإنسان شاهد من أعظم الصعوبات ومن يظن أنه هو أسهل من يهب وجوده. لأن النفس تحتاج وتحتاج بعد وجودها قد وهب ومن جهة نعمة وجود الخير الذي. فمثلاً تحتاج طعام الذي ليعيش. وإذ لم يحصل عليه تموت بعد مشتهيات شريرة وتطلب قائل الحرية الإلهية وحل الزائر فليعمل الرجل حتى لا يحتاج ملذات الذي الخير مع كل أحد حتى تعدي نفسه فداء عن الخير. عندها يتسلل إلى معرفة الحقيقة.	٣٧- ولما واحد تعدد وقال له أيها معلم الصالح أي صلاح أعمل يكون الحياة الأبدية. قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب اعط بيع أملاكك والفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني لا تكذبوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد. السوس والصدأ وحيث يعتب السارقون ويسرقون بل اكذبوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا يعتب سارقون ولا يسرقون.
= مولر في كتاب عقوه الذي ص ٢٤٤.	▪ نجيل متى الإصحاح ٦ ع ١٩- ٢٠.
٣٨- وكان قصد بولا تشييد مملكة دينية أي مملكة سماوية.	٣٨- ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز يقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.
▪ بيل تاريخ اليونانية ص ١٠.	▪ نجيل متى الإصحاح ٤ ع ١٧.
٣٩- وكان بولا الآن أحسن إدارة مولاب شريعة لحلب. ومن أجل هذا كان ذاهب إلى مدينة يشرع الأحب أولاً للكاهن في الصلاة. وكتب باب الحياة للإنسية.	٣٩- من بعد تجربة الشيطان ليسوع ابتدأ يسوع يناسبي قائلة ويقول. ومن أجل هذا الغرض ذاهب إلى مدينة قفر وحده ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله. الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً. والجالسون في كورة موت وظلاله أشرق عليهم نور.
▪ بيل تاريخ اليونانية ص ١٠٤.	▪ نجيل متى الإصحاح ٤ ع ١٧-٢١.

٤٠- وقال بولا مشابه الخيب أسماء ن كلامي لا ريب فيه فلا يزال قطب ولو وقعت السماء ت على الأرض وابتلع العلم وجفت البحار وانشق جبل سومر وجبل قعيقعان.	٤٠- الصوفي أفضى موسى أم الحمة والطير فيسبح الشيخ صار حجر أقول بكم السماء والأرض تزول وبكل كلامي لا يزول. ▪ إنجيل يوحنا الإصحاح الأول وإنجيل لوقا.
٤١- قال بولا: لا يوجد شيء أعظم فضلا في الإنسان من الاستعفاف والبتولية، فشهوات الجسد والسعادة لا يوجد سوى اشتهاء شهوات واحدة ولو كان يوجد شيء آخر ما كان على وجه الأرض رجل يتبع الجسد فاحترسوا من الخبيث يصرعكم في النساء وإن كنتم مختصين معهن واحفظوا جسدانكم كأنكم غير مختبرين معهن ولا تتعرضوهن واحترسوا على قلوبكم. ▪ كتاب تعليم الأفكار الجيدة ١/ ٢٢٨.	٤١- قال يسوع: قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. وأنا أقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة لشهوتها فقد زنى بها قلبه. ▪ إنجيل متى الإصحاح ٥ ع ٢٧- ٢٨.
٤٢- وقال بولا: لرجل العاقل الحكيم لا يتزوج فقط ويرى الخيبة الزوجية فالزواج بلا مخاصمة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الاتحاد في الزواج. ▪ يبس لاسي في كتابه الناموس الموسوية ص ١٠٣	٤٢- فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن إن لم يضبطوا نفسهم فليتزوجوا لأن التزويج أصلح من التحرق. ▪ رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح ٧ عدد ١.
٤٣- وبعد هو مختار إلى بسأ أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم من أخطأ ... هذا أو أبواه حتى ولد أعمى. ▪ إنجيل يوحنا الإصحاح التاسع عدد ١ – ٢.	٤٣- وبعد هو مختار إلى بسأ أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم من أخطأ ... هذا أو أبواه حتى ولد أعمى. ▪ إنجيل يوحنا الإصحاح التاسع عدد ١ – ٢.
٤٤- قال بولا بدله الأفكار الجيدة يدير تصوراته نحوهم ويصير على معرفة أفكار المحبوبات قلبها. ▪ هرتني في كتابه خرافات الوثنيين ص ١٨	٤٤- كان يسوع يعلم الأفكار الجيدة يدير تصوراته نحوهم وأنه كان على معرفة أفكار المحبوبات قلبها. = إنجيل يوحنا صحة ٤ كورنثوس ع السرية.
٤٥- وجاء في كتاب عموديف حكاية عبرية لأحد	٤٥- قال يسوع: إن كانت عينك اليمنى تشرك

التعليم المسيحي عن الله في رسالة أبيه المكتوبة	فظلمها وأنهم عليك.
• كتاب موارد المعرفة المسيحية ص ٥٤٢.	• بجيل بن صحف ٥ ع ٢٩.
٤٦- لم يكن يوحنا على التحقيق كان يراك يجوز يعني	٤٦- لم كان يسوع داخلا أورشليم راكب على
فتناكر فعرفت الملائكة طريقه بزهر	حمار فرست له جموع الشعب بأنك ... تجيء.
• هرمزي في قصيدة خرافات الوثنيين ص ١٣.	• بجيل بن صحف ٢١ ع ١-٩.

ثانياً – النَّصْرانيَّةُ في القرونِ الوُسْطى، وظُهورُ البابويَّةِ

لاحظْنا فيما تقدَّم كيف تشكَّلتْ العقيدةُ النَّصْرانيَّةُ بصيغتِها العامَّةِ التي تكادُ تكونُ نهائيَّة، وسنتابعُ فيما يلي ما طرأ من أحداثٍ على النَّصْرانيَّة خلالَ القرونِ الوُسْطى، وهي المدَّةُ ما بينَ القرنِ الرَّابعِ وعهدِ النَّهضةِ في القرنِ الخامسِ عشرَ.

الآريوسية:

لم تمرَّ تلكَ العقيدةُ التي استقرَّتْ عليها الكنيسةُ المسيحيَّةُ دونَ مقاومةٍ ومعارضةٍ. فقدْ كانَ المسيحيون في (الحبشة، ومصرَ، وسوريةَ) يُخالفونَ مبادئَ تلكَ الكنيسة، ويُناقشونها في كثيرٍ من الرَّأي، ثُمَّ ظهرتْ حركةٌ قويَّةٌ في القرنِ الرَّابع، وفيها المعارضةُ القويَّةُ، ألا وهي حركةُ كاهنٍ اسمُه (آريوس).

رأينا أنَّ المسيحيينَ اتَّفقوا على الثَّالوثِ المقدَّسِ، وأنَّ المسيحَ ابنُ الله، وأنَّهُ منقذٌ ذو صفةٍ إلهيَّةٍ، فأتى آريوس فقالَ: إذا كانَ المسيحُ ابنَ الله فينبغي أنْ يكونَ دونَ الله، وأقلَّ منه، وفوقَ البشرِ. وهذا القولُ مُخالفٌ كلَّ المخالفةِ لرأي الكنيسةِ التي تقولُ (إنَّ المسيحَ إلهٌ حقيقيٌّ، ورجلٌ حقيقيٌّ). فبدأتِ المُناحةُ والنِّزاعُ الجدليُّ، وكانَ في هذا الرَّأي خطرٌ على ما استقرَّ عليه المسيحيون، لأنَّهُ يُحقِّقُ من قيمةِ المسيحِ كإلهٍ، ومن قيمتِه كمُنقذٍ إذا بضعفِه في مصافٍّ دونَ مصافِّ الألوهيَّة.

والأمرُ بيِّنٌ أنَّ جميعَ (قسطنطينَ) مجمعاً في (نيس) فنظرَ هذا المجمعُ في

وضع عقيدة نهائية للنصرانية، وانتهى به الرأي إلى أن أقرّ أنّ صفة المسيح الإلهية أزلية مع الله سبحانه وتعالى، واعتبر (آريوس) خارجا عن النصرانية.

على أنّ المبدأ الذي بشّر به (آريوس) استمرّ واعتنقته القبائل الجرمانية، وامتدّ حتى أواخر القرن السادس الميلادي.

الرّهبانيّة

تشكّلت الرّهبانيّة في المسيحيّة على مراحل ثلاث تطوريّة:

المرحلة الأولى: كانت في أوائل القرون الوسطى، وذلك أنّه بعد أن انتشرت المسيحيّة وقوي نفوذها، وتوسّع سلطانها، وانتقل إليها عددٌ من الناس لا يفهمون معنى تضحية من ضحّى من جماعة المسيحيين الأول، كان عددٌ من مُعتنقي الدّين الجدد قد دخلوا طلبًا للمنفعة، أو حرصًا على الظّهور، أو سوى ذلك من الأمور الدّنيويّة، ووجد من بقي على طريقة المسيحيين الأول في خدمة الدّين والدّفاع عنه والتّضحية لأجله أنّ العالم قد غرق في هذا التيار الدّنيء، فامتعضوا، وآثروا الانسحاب من الحياة المدنيّة إلى حياة الغابات والصّحارى، ومنهم عددٌ كبيرٌ من المصريين، وانقطعوا لأنفسهم معتزلين العالَم الخارجيّ، وكان لكلّ واحد منهم شجرته أو صومعته، يخلو فيها وحده، فلا يعاشر النّاس، ولا يتّصل بهم، بل يعيش عيشة المُنعزل البعيد عن كلّ شيء.

المرحلة الثّانية: وجد القديس باكوميوس (ت: ٣٤٦ م) أنّ الانعزال هذا قد أبعد الرُّهبان عن الحياة الحقيقيّة، وجعل فيهم بعض الوحشة، فحضّ على اجتماعهم من حين إلى آخر للعبادة بعضهم مع بعض، وسار مبدأه في أوائل القرن الرّابع، وتبعه عددٌ كبيرٌ من المصريين، فكانت الصّلوات والتّعبّدات لقدٍ مجتمعة، ثمّ يعود كلّ فرد إلى نفسه في صومعته ينقطع فيها للعبادة.

المرحلة الثالثة: وتلت ذلك المرحلة الثالثة، وإذ بالقديس (باسيل) يرى أنّ حياة الرهبنة على الصفة المتقدمة ليست أمرًا عمليًا، وأنّ هناك حالاً أفضل، وهو أنْ ينقطع الرهبانُ عن الناس والعالم الخارجيّ، على أنْ يعيشوا مجتمعين فيما سُمّي بـ(الأديرة) وساد رأيُه، فأسّست الأديرة، واجتمع فيها الرهبان، وعاشوا يؤدّون صلواتهم وتعبُّداتهم.

البابويّة:

تقدّم أنّ كرسيّ الرسول (بطرس) في روما كان له شأنٌ يُراد منه أنْ يكون أوسع من شأن غيره.

على أنّ هذا الكرسيّ لم يكن له في الواقع سُلطةٌ أعلى من غيره من الكنائس الأخرى، بل كان من حيث السُلطة بمستوى بقيّة سُلطة غيره، فلم يكن رئيس الكنائس جمعاء، وإنْ كان يستغني بعض الأحيان باعتباره كرسيًا مُمتازًا.

ثُمّ حصلت أسبابٌ دعت إلى توسّع سُلطة ذلك الكرسيّ ونشأ البابويّة:

= أوّلُ هذه الأسباب أنّ (القديس أوغستان) وهو من إفريقيا الشمالية وضع كتابًا سمّاه (مدينة الله) دعا فيه إلى إعطاء الدين سلطة الحُكم. وذكر أنّ الأمر سيؤول إلى أنْ تسود سلطةُ الدين على الدنيا وسينقضي ذلك الزمن الذي يتسلّط فيه الملوك. وقد مهّد هذا الكتاب الطريق إلى إيجاد سُلطة كنائسية قويّة.

= ثُمّ أتى (شارلمان) فاستولى على بقعة واسعة من بقاع المسيحيّة، وخدم ذلك الدين خدمة كُبرى، وأسّس المدارس وعلّم الكهنوت، وكانت سلطةُ الملوك في إيطاليا قد تقلّصت، فأعطى روما رئيسًا لها هو البابا. وأسّس الإمبراطورية المُقدّسة، فقويت سلطةُ ذلك الكرسيّ.

= ثمّ إنّ وضعيّة التسلسل في الكهنوت من الأصغر إلى الأكبر فالأكبر كانت تثير في الأذهان فكرة إيجاد سلطة عليا تنتهي إليها السُّلطات الأخرى، ووُجد بين المتعبّدين من حاول أنْ يخدم الكنيسة بوضع رسائل ملفّقة تظهر بها قيمة البابويّة ومكانتها والحاجة إلى سُلطانها، وخدمت هذه الرسائل البابويّة ورفعت من شأنها.

= ولمّا حاولت الحركة الصليبيّة عمل البابوات على نموّهم وتقويتها فأعطوا بذلك لأنفسهم مكانة جديدة، وكانت مكانتهم قد توسّعت بعد أن استقلّت الكنيسة الشرقيّة عن الكنيسة الغربيّة - كما سنرى - واعتمدت كنيسة روما على نصّ من الإنجيل، وقرئ هذا النصّ في مجمع من المجامع الدينيّة، ومعنى هذا النصّ - كما أوردنا سابقا - أنّ المسيح قال لبطرس: (أنت بطرس الذي تلمع أوّليّة كرسيّك على كلّ الأرض، وليشغل كرسيُّك رأس كلّ كنيسة)

لهذه الأسباب والعوامل استقامت سلطة البابا وتوسّعت واشتدت حتّى ألّت بروما من الأمم إلى العقيدة بأنّه معصوم، وأنّ القرارات التي يضعها نهائيّة لها صفة دينيّة تامّة.

الأرثوذكسيّة:

كان بين الشرق والغرب نوعٌ من الاختلاف في الطبيعة وفي فهم النفوس الدينيّة وفي لون الحكم: تأسّست في الشرق دولة روما الشرقيّة (دولة بيزنطة) وفي الغرب انقضى عهد سلطان الملوك في إيطاليا وقويت سلطة البابا كما مرّ.

ويتميّز الشرقيّون اليونانيّون الذين تكوّنت منهم دولة روما الشرقيّة بميلهم إلى الجدل والمناقشة والتفكير في المسائل، دون الأخذ بالسُّلطة العليا التي تفرض المسائل فرضا. أمّا الرومان فهم معتادون على سلطة منوكيهم وعلى تقبّل حكمهم.

وهكذا نشأ بين الطرفين نوعٌ من النزاع في طبيعة المسيحيّة نفسها من حيث

ظواهرها الخارجية وأتى يومٌ أضافت الكنيسةُ برؤوسا إلى المُعتقدات أنّ روح القُدُس ينبثقُ من الابن كما ينبثقُ عنْ الأب، فلمْ تقبلْ الكنيسةُ الشرقيةُ هذا المذهب الجديد.

وفي عام (١٠٥٤ م) أعلنت الكنيسةُ الشرقيةُ في القسطنطينية انفصالها عنْ الكنيسة الغربيّة، وأنّها لن تتبعها في أحكامها، ورضيت بذلك الكنيسةُ الغربيّةُ وازداد سُلطانها في المناطق التي كانت تابعة لها.

وكانَ قسمٌ من المسيحيين في الشرق في (سورية، ومصر، وإيران، والحبشة) قد استقلّوا عنْ الكنيسة الغربيّة قبْل ذلك ولمْ يقبلوا بأحكامها، ومنهم من سُمّوا بـ(النسطوريين) فاجتمع جميعُهم تحتَ لواء الكنيسة الشرقيّة في مذهب عامّ سُمي بـ(الأرثوذكسية) أي الطريق المُستقيم طريق الآباء الأوّلين.

ونظرت الكنيسةُ الشرقيّة في طريقة توحيد المبادئ والمذاهب ووضع الخطط لوحدة المُلتمة، فرأت أنْ توكل ذلك إلى المجامع. وشكّلتْ هذه المجامعُ من بطاركة أربعة، هم بطاركةُ (القسطنطينية، وأنطاكية، والإسكندرية، والقدس) هذه المجامعُ تقرّرُ في اجتماعها الأصول التي تتبعُ وتقومُ بما يقومُ به البابا في الكنيسة الغربيّة منفرداً.

* فروق بين الكنيستين:

يُلاحظُ الباحثُ أنّ ثمّتَ فروق واضحة بين الكنيسة الشرقيّة (الأرثوذكسية) وبين الكنيسة الغربيّة (الكاثوليكيّة)، منها:

- أنّ الكنيسة الشرقيّة سمحت للكهنوت بالزواج خلافاً للكنيسة الغربيّة على أنْ يتمّ الزواجُ قبلَ الانتساب إلى الكهنوت، فلا يكونُ من زواج بعد ذلك الانتساب.

= واستبعدت الكنيسةُ الشرقيّةُ شفاعة القدّيسين.

= وردّت فكرة بيع الغفران.

أمّا من حيث الطقوس والعبادات:

= فقد عاشت ولازالت تعيش في أبهة عظيمة من الاحتفالات والصلوات، في كنائس زاهية، تكثر في احتفالاتها من الأناشيد المرتلة دون أن ترفق تلك الأناشيد بالموسيقى.

= وهي تحظر التماثيل، لكنها تحتفل بالزخرفة وبعض الصور.

هذا وقد توسعت رقعة الكنيسة الشرقية فضمت إليها (بلغاريا، وروسيا، والبلاد السلافية عامة). ولما حكمت الشيوعية البلاد السلافية انسلخ قسم كبير منها إلى اتجاه مذهبي يخالف الاتجاه الكنائسي.

السكولاستيك (الفلسفة المدرسية في القرون الوسطى):

صادفت العقائد المسيحية في القرون الوسطى عند بعض الفلاسفة والمفكرين مقاومة وتعرضت منها للنقد. فدافع أصحاب الكنائس أمام هؤلاء الزنادقة كما أسموهم. على أن التفكير الفلسفية ما لبثت أن تقدمت ولاسيما بعد أن عرف أرسطو من طريق الأندلس، وثم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدي بل حاربت مذهب أرسطو ومن يقول به ومن يقرأه. ثم رأى بعض المسيحيين الذين اطلعوا على آثار المسلمين كالغزالي وابن رشد سبيلا إلى التوفيق بين الدين وبين العقل.

وكان أفلاطون يقول: إن الله سبحانه وتعالى يجمع في ذاته بين العلم والدين، فيجب إذن أن يكون العلم متفقا مع الدين.

وهكذا قام في المسيحية (القديس توما الاكويني) فوضع كتبا ورسائل عديدة في التوفيق بين الدين والعقل، حذا فيها حذو العلماء المسلمين، ووضع غيره رسائل وكتبا في البرهان على وجود الله، ووضعت كتب سميت (الاسوم) أي

(المجموع) فيها مجموع الدين والعقيدة مع العلم العام. والغاية منها التوفيق بين العلم ومجموع الدين، ونتيجة هذه الكتب اتجاهات عديدة بحسب وجهة النظر التي وضعت فيها، ولكنها تؤول جميعها إلى أنه لا خلاف بين الدين والعقل، وإلى أنه إذا ظهر خلاف بينهما وجب أن نرجع إلى الدين لأنه وحي صحيح، لا كالعلم الذي معارفه لكونها غير ثابتة ولا أكيدة.

ثالثاً – المَسيحيَّةُ في العُصورِ الأخيرةِ والحَرَكَةُ الإصْلاحيَّةُ

الفساد الكنسي مهّد للإصلاح:

كان القرن الخامس عشر يتمخضُ عن حركة جديدة فكان كلُّ شيء يدلُّ عليها، فقد كانت حالة الكنيسة المسيحيّة تستدعي الإصلاح، فبوادر الفساد ظهرت فيها والانتقاد كان شديدا حولها، وكان يظهرُ بابوات فيقابلهم بابوات آخرون يلاعنون لتصفة نفسها، فيلعنُ كلُّ واحد منهم الآخر، ويحصلُ مهازل ومآسي، هذا والكنيسة قد اتسعت اتساعا هائلا، فأصبحت ذات ثروة طائلة، وكانت ثروتها ومتلكاتها موضع نقد لها.

والجه النقدُ أيضا إلى الكهنوت الذين صاروا يتزوّجون مع أنّ قواعد الكنيسة تحرّمُ عليهم ذلك.

واتُّهم الكهنوتُ بالجهل، وكان منهم جهّالٌ في واقع الأمر، لأنّ الدخول في الكهنوت كان وراثيّا أكثر الأحيان. والتعيين في المراكز الكهنوتيّة كان يتمُّ من قبل السُّلطة الزمنيّة، وتوافق عليه السُّلطةُ الروحيّة، فخرج الكهنوتُ عن صفتهم الأساسيّة واهتمّوا بالعالم الأرضي وبالمال وبالمعيشة.

وكانت قد ظهرت حركة سميت بـ(الإنسانية = هيومانيزم) وانتقد أصحاب هذه الحركة الكهان في أخلاقهم وسيرتهم. وقبح المتزهدون اهتمام الكهنوت بالعالم الأرضي وثاروا عليهم لذلك.

• حركةُ (مارتن لوثر) الإصلاحيّة:

في هذه الظروف نشأ (مارتن لوثر) في ألمانيا وكان أبوه قد حصل على ثروة فأراد أن يدخل ابنه في ميدان العمل والثراء، ولكن هذا كان بعيدا في طبعه عن اتباع الحياة الدنيا، وكان يوما تحت شجرة فأتت صاعقة أحرقت الشجرة، فدعا الله ونذر نفسه بأن يكون راهبا، وحقق نذره فانتسب إلى رهبنة (القديس أوغستان) وقرأ التوراة ووجد فيها:

= أنّ الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئا مهما من نفسه، وأنّ الذي ينقذه هو الله لا أعماله، فمن كان ساقطا في نظر الخالق فلا شيء ينقذه.

= والإيمانُ هو المنقذُ الأصلي لا الأفعالُ، وليس لشفاعة القديسين أثرٌ في هذا الإنقاذ.

= والرهبنة لا قيمة لها.

ونظر لوثر في أمر الغفران وشرائه وبيعه من قبل الكهنوت فاستنكرت ذلك نفسه، وكتب رسالة فيها خمسة وأربعون موضوعا عن (الغفران وبيعه وأسئلة حول ذلك).

وأحدثت هذه الرسالة حين ترجمت إلى الألمانية أثرا عميقا في نفوس الناس، فتصدى له بالمناظرة عالمٌ اسمه (ايكي) وتبيّن للوثر من نتيجة المناظرة أنّه لم يتعمّق في دراسة تاريخ المسيحية، فانقطع إلى ذلك. فتبلورت فكرته ووضع مذهبه وإذا هو يرى أنّ العلوم الدينيّة ليست في قرارات الكنيسة إنّما هي في الكتاب المقدس.

وحكم الكرسيُّ البابويُّ عليه وطُرِدَ من المسيحيَّة، فاصبره الألمانُ من بني قومه، وعدُّوه بطلا وطنيًا، ورأوا أنَّ الغرباء عنهم أصحاب الكرسيِّ البابويِّ يستغلُّونهم ويأخذون أموالهم، وهكذا بدأ مذْهبُهُ ينتشرُ.

* حركة (جون كالفن):

ثم حصلت حركةٌ إصلاحيَّةٌ أخرى هنا وهناك نجتزئُ منها ذكرى حركة (جون كالفن) الذي قال بالجبْر، وأنَّ الإنسان مسيَّرٌ لا مخيَّر، وأنَّ أفعاله مكتوبة لا يُمكنه أنْ يغيِّرها، وأنَّ القُرْبان المقدَّس ليس إلا رمزاً للمسيح وليس من دمه ولحمه.

ورأت الكنيسةُ تلك الإصلاحات وأدركت سوء الوضع الذي نددت هي فيه، فوجدت ضرورة الإصلاح، فعقدت بين عام (١٥٤٥ — ١٥٦٣م) **مجمع ترانت** ووضع هذا المجمعُ قواعد تنظيميَّة يتقيَّدُ بها الكهنوتُ وأصولا لتعليمهم ورفع جهالتهم. وحكم المجمعُ على الحركة الإصلاحيَّة المشقَّة.

* البروتستانت = المحتجّون:

نشكَّل من الحركة الإصلاحيَّة التي قام بها لوثر وكالفن وغيرهما مذْهبٌ جديدٌ هو المذْهبُ (البروتستانتي) وخلاصة هذا المذْهب:

= أنَّ المسيحي مسؤولٌ أمام الله وحده لا أمام الكنيسة. هذا هو جوهرُ المذْهب وأساسُه وكلُّ شيءٍ يتفرَّع عنْ هذه النُّقطة.

= ويقولُ البروتستانت بالحريَّة في الأمور الدِّينيَّة والدُّنيويَّة أكثرَ من الكاثوليك الذين استمرُّوا مع الكنيسة الأولى.

= ويقولُ البروتستانت بالتَّسامح الدِّينيِّ.

= ويقولون بفكْرة الحكم الشَّخصيِّ لا الحكم الكنسيِّ.

= وهم يبعدون الكنيسة عن التدخل في الأمور الزمنية.

= ويذهبون إلى شيء من الخرابة في الطقوس والعبادات والنظرة اللاهوتية والكهنوتية.

انتشرت البروتستانتية في شمال غربي أوربا ما عدا جنوب ألمانيا وإيرلندا، ثم انتشرت البروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية.

* الموحّدون - يونيتاريانز (Unitarians):

مرّ معنا فكرة **الأريوسية**، ورأينا أنها تجعل المسيح عليه الصلاة والسلام في مستوى دون مستوى الله، وظهرت مذاهب أخرى فيها ميل إلى وحدة الله، وإلى جعله فوق مستوى كلّ شيء، ثم جاء الإصلاح البروتستانتي - بعودته إلى الإنجيل والكتاب المقدّس وجعله ذلك الكتاب فوق كلّ القرارات الكنائسية مع ترجمته إلى اللغات الوطنية بحيث أصبح مقروءا في كلّ مكان - عاد بالأنظار إلى حالة المسيحية قبل تأسيس الكنيسة.

هذا الوضع سهّل السبيل في القرن السابع عشر إلى ظهور فكرة جديدة قوية ذات نزعة إصلاحية بعيدة، وهي (**فكرة الموحّدين = اليونيتاريون**)، وظهرت هذه الفكرة في بولندا مع **سوسان** وفي ترانسيلفانيا مع **فرانسيس داقيد** وظهرت في انكلترا أيضا وفي جهات أخرى.

ويقول هذا المذهب بأنّ المسيحية قبل ظهور الثالوث كانت موحّدة فليس في الكتاب المقدّس إشارة أو دليل إلى الثالوث وأنّ الله واحد في الأقنوم. فيجب إذن الرجوع إلى الفكرة الأولى للمسيحية، واعتقاد أنّ الله واحد. ويجب الرجوع إلى تعاليم المسيحية الأولى، إلى تلك التعاليم التي وضعها المسيح ويمكن تلخيصها بشيئين:

١ - محبّة الله. ٢ - محبّة البشر.

ويقولُ الموحّدون: إنّ المذهبَ الأصليّ للمسيحيّة هو أبوّةُ الله للناس، وعطفُه عليهم وقصدُه لخيرهم، والمذهبُ الأصليّ للمسيحيّة أيضاً هو أنّ البشر أخوة، وأنّ الخيرَ يجبُ أن يُسعى إليه وأن ينتصر، وأنّ الملكوت التصحيحيّ هو ملكوتُ الله، وهنالك اليومُ الآخرُ وفيه الحياةُ الخالدةُ للناس.

هذه هي عقيدةُ الموحّدين، على أنّهم لم يحدّدوا هذه العقيدة بشكلٍ نهائيٍّ بألفاظٍ وكلماتٍ منهم. فهم يعتقدون أنّه يجبُ عليهم أن لا يُضيّقوا بألفاظٍ وأفكارٍ محدودة، بل يقتضي تركُ ذلك للعقل والضمير، فالعقلُ والضميرُ دليلان للحقيقة الدينيّة، وأكثرُ ما يقولونه ويشهدونه هو قولهم: **(باسم حبّ الحقيقة وبروح المسيح نتحدّ لخدمة الإنسانيّة ولعبادة الله)** وهم يعلّقون الأهميّة الكبرى على التسامح الدينيّ. فهم إذن يرجعون إلى مبادئ المسيحيّة الأولى ويتّخذونها أصولاً، ويقفون عندها.

* توحيد الكنائس:

رأينا أنّ الكنائس المسيحيّة كثيرة متعدّدة على أنّها تجتمعُ في ثلاث كُبرى:
الكنيسةُ الأرثوذكسيّة، والكنيسةُ الكاثوليكيّة، والكنيسةُ البروتستانتيّة.

وهنالك كنائس أُخرى أقلّ أهميّة من هذه وأقلّ انتشاراً. وقد حاول الأمريكيون أن يقيموا اتّحاداً بين الكنائس. فدعوا إلى مجلسٍ دوليٍّ للكنائس، اجتمع عام ١٩٤٨ م إلا أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة لم تشترك في هذا المجلس وخالفته. فهي ترى أنّه لا وحدة للمسيحيين إلا بالعودة للكنيسة الكاثوليكيّة، أي إلى كرسيّ البابا. واجتمع المجلسُ ونظر نظرةً واسعةً في الأمور، وممّا أقرّه اتّفاقٌ على قبول الموحّدين فيه وصهرهم في المسيحيّة، وكانوا قبل ذلك يعدّون زنادقة خارجين عن النصرانيّة.

الباب الثَّالث

الفرق الإِسلاميَّة

الفصل الأول

نشأَة علمِ الكلام والمذاهب التَّوحيديَّة في الإِسلامِ

الفصل الثاني

دراسةُ أَهمِّ الفرقِ الإِسلاميَّة

الفصل الأول

نشأة علم الكلام والمذاهب التوحيدية في الإسلام

وعلاقة ذلك بالتيارات الفكرية القديمة

أولاً – موقع هذه الفرق من الإسلام

ينبغي ألا يغيب عن بال القارئ أن الفرق التي سأتحدث عنها منسوبة إلى الإسلام، داخلة في الملّة، ولذا نسمي الفرق الإسلامية، وقد أثبتُّ هذه النسبة لهم كما ترى في العنوان.

وهذا يعني أنه لا يجوز بحال من الأحوال أن ننتزع أيّ منها عن حظيرة الإسلام، ولم أجد في الثقاة من أئمة المسلمين من حكم على أيّ من هذه الفرق بالكفر، وإن كانوا إنما يتحدثون عنها ويعرفون بها، لبيان انحرافاتها عن الجادة، والابتداعات التي عرفت بها، والتحذير من الوقوع في ضلالاتها.

ومستند الأئمة في ذلك ما صحّ عن رسول الله ﷺ، من أنّ من لقي الله لا يُشرك به شيئا دخل الجنّة. وردت بذلك أحاديث صحيحة كثيرة بلغت مبلغ التواتر المعنوي.

من ذلك ما رواه الشيخان من حديث أنس أنه ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً حرّمت عليه النار» زاد البخاري: «صادقاً من قلبه». ومن ذلك ما رواه النسائيُّ من حديث أبي عمرة الأنصاريّ أنه ﷺ قال: «.. أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّي رسول الله، لا يلقى الله عبدٌ بؤمن بهما إلاّ حُجبت عنه النار يوم

القيامة». ومن ذلك ما أخرجه أبو داود والحاكم من حديث معاذ رضي الله عنه: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار». ومن ذلك ما رواه أحمد من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقًا من قلبه إلا حرّم الله عليه النّار» قال عمر بن الخطاب: هي كلمة الإخلاص.

أقول: ولكن ثبت في الصحيح أن في الموحدين من يدخلون يوم القيامة النار، ثم يخرجون منها إلى الجنة. وعليه، فإن هذا الذي ثبت في الصحيح ينبغي أن يكون استثناء من عموم الأحاديث السابقة، إذ العام يفسّر دائمًا على ضوء الخاص.

* * *

ولكن يُشكل على هذا الذي ذكرناه الحديث الذي رواه أصحاب السُّنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرّقت النصارى عن اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». وقد رواه الترمذيُّ من حديث عبد الله بن عمرو بزيادة «كلّهم في النّار إلاّ ملّة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي» وقال عنه: هذا حديثٌ غريبٌ.

أقول: وفي العلماء من ينكر هذه الزّيادة ويضعّفها إلاّ أنّ هذه الزيادة لم ينفرد بذكرها الترمذي، بل رواها بألفاظ قريبة أبو داود من حديث مُعاذ رضي الله عنه، ورواها ابنُ ماجه من حديث عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما. ومن ثمّ فإنّ المشكلة قائمة لا تزول بردّ هذه الزيادة اعتمادًا على القول بعدم ثبوتها.

والغالب الظنّ أنّ الدافع الأوّل إلى تلمُّس أسباب الضعف في هذه الزيادة محاولة الفرار من الإشكال الذي تسببه، وهو التعارض الحادّ مع الأحاديث الكثيرة التي ذكرنا بعضها، والدالة على أن من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة. وقد علمت أن أصحاب الفرق على اختلافهم مؤمنون بوحدانية الله عز وجل.

وقد ذهب كثير من الناس يمينا وشمالا في السعي إلى رفع هذا الإشكال بما يتفق مع المبادئ التي لا مجال للخلاف فيها. والذي أراه - وأسأل الله أن يلهمني الرشد - أنّ المراد بالأمّة في قوله ﷺ: «وتفترق أمتي» أمّة الدّعوة لا أمّة الاستجابة. وكلّ الناس الذين وُجدوا بعد بعثة رسول الله إلى يوم القيامة، من أمّة الدّعوة مسلمين كانوا أو غير مسلمين. وعليه فإنّ المراد بالفرق التي تفترق إليها أمّته هذه هي الأديان الباطلة الكثيرة الخارجة عن ملّة الإسلام. وليس المراد بها الفرق الإسلاميّة من معتزلة ومرجئة وجهميّة وخوارج .. إلخ.

يدلّ على ذلك أمران اثنان:

أولهما: قوله ﷺ في الزّيادة التي ساقها الترمذيّ: «كلّها في النّار إلا ملّة واحدة» وقد علمت أنّ الملّة هي الدّين ولا يعبّر بها عن الفرقة. وملّة الإسلام تشمل الفرق التي تكاثرت فيها.

ثانيهما: أن النبي ﷺ قال في صدر الحديث: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى.. إلخ» فكان المقابل يقتضي أن يقول: «وتفترق المسلمون إلى ثلاث وسبعين فرقة» لو كان المراد بالفرق تلك التي يتفرق إليها المسلمون. فلما خالف رسول الله مقتضى المقابلة فعبّر بكلمة «أمّتي» بدلا عن كلمة «المسلمون» دلّ على أن مراده بالأمة عموم أمة الدعوة.

فهذا الفهم لكلمة الأمة في الزيادة التي ساقها الترمذي وآخرون، يسجم مع سياق الحديث وسباقه ويفتح سبيل التوافق والانسجام مع الأحاديث الكثيرة المؤكدة بأن من لقي الله مؤمنا بوحدانيته لا يشرك به شيئا دخل الجنة.

وإذن فإننا على الرغم من التحذير من الضلالات والبدع التي وقعت فيها الفرق التي سيأتي على ذكرها والتعريف بها، لا نكفر أيا منها. ونسأل الله لنا ولهم المغفرة والصفح بمنه وكرمه إنه أكرم مسؤول.

ثانياً – أقسام هذه الفرق:

إن التيارات التي واجهها الإسلام بدءاً من بعثة خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كانت لا تزيد على نوعين:

النوع الأول: ما واجهه الإسلام في الجزيرة العربية من ضلالة مبعثها الجهل والبداوة وترسب العادات والتقاليد القديمة، إلى جانب صفتي العناد والعصبية.

النوع الثاني: ما واجهه الإسلام خارجها (وكان ذلك فيما بعد) من المذاهب العقلية والفكرية التي جاءت نتيجة المعاناة والاعتماد على المعارف المختلفة، كالمذاهب الدينية في بلاد فارس، والمذاهب الفلسفية في بلاد الروم وعند اليونان، وعند من تأثر بهم.

فبأي سلاح واجه الإسلام أو المسلمون هذين النوعين من التيارات المختلفة؟

إن هذا التساؤل من شأنه أن يلفت نظرنا إلى ما ينطوي عليه الإسلام بحد ذاته، من عوامل الإقبال إليه والتقبل له والاقتناع به؛ إذ هو في الحقيقة ليس جملة تصورات ومواصفات سلوكية، تصلح للقبول والرفض على حد سواء، حتى تبحث له عن المؤيدات خارج حقيقته، كقوة المدافعين عنه، وكالمصلحة التي تتحقق للناس أو بعضهم في الخضوع له، وإنما هو جملة مبادئ واعتقادات لها في كيان الإنسان جذور نفسية وعقلية تبعثه على الإذعان لها واليقين بها، ما لم تشدل غواش وحجب من التعصبيات والأهواء على تلك الجذور ومكانها من الكيان الإنساني.

إذن، فالحقائق الإسلامية لها جذور ممتدة إلى كيان الإنسان في كلا مظهريه النفسي والعقلي معاً، لها جذور تتصل بأعماق كيانه النفسي، من حيث هو دين الفطرة، أي دين يتفق مع أصول ما فطر عليه الإنسان من تطلعات وأشواق، كما يتفق مع موازين العقل والمنطق وأحكامهما.

ثم إن موازين العقل والمنطق تنقسم هي الأخرى إلى قسمين: قسم دلّ عليه منهج القرآن وحجاجه، من البراهين العقلية التي يغلب أن يتعامل بها الناس ويعتمدوا عليها على اختلاف مللهم وأجناسهم، وقسم استخلصه الفلاسفة واستخرجوه من مسالكهم الفلسفية التي اختصوا بها، فكانت قيمة هذا القسم الثاني في الاحتجاج به والاعتماد عليه، مقتبسة من قاعدة «من فمك أدينك». فربّ مناقش يعتمد على مقدمات خصمه تدعم ادعاءه، يريه بذلك أن مقدمات الخصم لا تنتج في الحقيقة دعواه بل تنتج نقيضها.

فهذه هي جملة المذاهب والفرق التي واجهها الإسلام لدى بعثة رسول الله ﷺ.

فكيف تراجعت هذه المذاهب والفرق في وجهه، وبأي حجة واجهها المسلمون حتى تغلبوا عليها، وكيف بادت تلك المذاهب بعد أن سادت؟

هذا ما سنجيب عنه الآن بعون الله وتوفيقه.

مسالك الإسلام

في مواجهة التيارات الجانحة على اختلافها

تستخلص مما ذكرناه أن مسالك الإسلام في مواجهة الضلالات والتيارات الجانحة على اختلافها تنحصر في المسالك الثلاثة التالية:

المسلك الأول: استثارة نوازع الفطرة الأصيلة في كيان الإنسان، عن طريق بذل الجهد في سبيل إزالة التفوشي والحواجز التي قد تصد الإنسان عن الشعور بها والخضوع لها، إذ إن الفطرة الإنسانية في أبسط الناس عقلا وإدراكا تهدي إلى أن لهذا العالم خالقا. وبعبارة أخرى: إنّ معرفة وجود الله مطبوعة في النفس طبعا وإن أدنى التفات من العاقل تسوي إلى نفسه تجعله يوقن بوجوده خالق مدبر عظيم.

المسلك الثاني: تحكيم موازين العقل والمنطق، ونقصد بها تلك التي اتفقت واجتمعت عليها عقول الناس أجمع، حتى غدت كالعملة العالمية الرائجة. وهذه الموازين العقلية والمنطقية يدعو القرآن إلى استخدامها وإلى مواجهة الجانحين بها، بل ربما تحدى القرآن بأسلوبه المعجز الفريد كيفية الاحتجاج بها. من ذلك ما يسمى بدليل العناية، أو دليل الحكمة والتدبير، أو دليل مظهر العلة الغائية في المخلوقات. وهو دليل نصطبغ به المخلوقات كلها على تنوعها واختلافها. فإنك تلمس في نظامها وتآلفها، يد الإتقان والصنعة، وهو برهان ما بعده برهان على أن للتنظيم منظما وللصنعة صانعا.

المسلك الثالث: وهو مسلك الفلاسفة الإسلاميين، من أمثال الفارابي وابن سينا وأبي البركات البغدادي. فقد اعتمدوا أو توكؤوا على منهج الفلاسفة في تقسيم

الأشياء إلى ممكن ومستحيل وواجب. ثم في الاستدلال بأن الممكنات لا تتسم بأحد صفتي الوجود أو العدم، إلا بقدرة مرجحة تحكم عليها بإحدى الصفتين، وصاحب تلك القدرة المرجحة إن كان وجوده هو الآخر من نوع الممكنات، فلا بد من أن يستند وجوده بدوره على ذي قدرة أسبق منه يسبغ عليه صفة الوجود. فإذا فرضنا وجود صاحب هذه القدرة الثانية وجودا ممكنا أيضا، وهكذا.. تسلسل إلى ما لا نهاية، وهو باطل ومستحيل. إذن فلابدّ من اليقين بأن الممكنات كلها لابدّ أن تستند في أصل وجودها إلى ذات واجبة الوجود، بديع وجودها من ذاتها ولا يفتقر عليها من غيرها..

وقد شغل كثير من الباحثين أنفسهم وغيرهم بالجدل والنقاش، حول أفضل هذه المسالك الثلاثة وأحداها في تبصير الإنسان العاقل بوجود الله وحمله على الدينونة له[1]. فمنهم من فضل المسلك الأول، ومنهم من أضاف إليه المسلك الثاني، ومنهم من ذهب إلى أنه لابدّ من اعتماد مسالك الفلاسفة والاستفادة من موازينهم الفكرية والمنطقية أيضا.

والحقيقة أنه لا مجال للمفاضلة بين هذه المسالك الثلاثة، بل لا معنى للتفكير في إمكان الاستغناء بواحد أو باثنين منها عن الباقي: فإن هذه المسالك الثلاثة ما ظهرت في عهد أصحاب رسول الله ﷺ (وهم الرعيل الأول من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام)، بل ظهرت متدرجة، حسب ظهور الحاجة، أي فكان الأساس في استعمالها ملاحظة ضرورة تناسب العلاج مع المرض المشخص، دون تطبع أو تكلف، ودون تقصير أيضا في استحضار العلاج المناسب.

ومن المعلوم أن السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها رسول الله ﷺ في مكة في

---

(١) انظر محمد الدين مرزي وآراؤه الكلامية والفلسفية للأستاذ محمد صالح زرقان: ١٧٥ فما بعد.

صدر البعثة، هي المرحلة الأساسية الأولى في الدعوة إلى الحقائق الإسلامية وإزالة الحجب والقواشي القاتمة عن رؤيتها واليقين بها. ومن المعلوم أن الناس الذين كانوا من حوله آنذاك، هم أهل مكة، وقد علمت أن الضلالة التي استحوذت عليهم، كان مبعثها البداوة والجهالة بالإضافة إلى ما قد ركب في طباعهم من العناد والتأبي على الانقياد وتقديس التقاليد والعادات السائدة.

لذا؛ لم يكن ثمة أي موجب للاستعانة (في نطاق دعوتهم إلى الإسلام وإزاحة الضلالة عن رؤوسهم) بغير المسلك الأول الذي يعتمد على استثارة نوازع الفطرة الأصيلة في كيان الإنسان، وتمزيق غواشي العصبية والعناد، على أن القرآن كان يلفت نظرهم - كلما دعت الحاجة - إلى تحكيم موازين العقل التي هي محل إجماع وتقدير من أولي الألباب والعقول في كل زمان ومكان.

فمن الطبيعي إذن أن نستعرض آيات التبصير بوجود الله والدعوة إلى تيقين بحقائق الإسلام وعقائده، التي نزلت في هذه المرحلة من عصر البعثة، فلا نجدها تخل إلا بالمسلك الأول، مع تعريج على المسلك الثاني كلما دعت الحاجة.

على أن هذه الآيات التي نزلت في تلك السنوات، هي مثل الآيات التي تعالج أمور العقيدة وتبرهن عليها، أو هي كلها، إذ الآيات التي نزلت فيما بعد، انتقلت إلى بيان التشريعات والأحكام السلوكية والمبادئ الأخلاقية.

وما كانت ثمة حاجة إلى تحكيم شيء من الموازين والقواعد الفلسفية، لتقل العرب آنذاك من ضلالة الكفر إلى صعيد الإيمان؛ لأن عقولهم فارغة عن الشبهات من جانب، ولأن نفوسهم لا تزال خاضعة للفطرة الإنسانية الأصيلة من جانب آخر.

ثم إنهم كانوا يمتنعون (إلى جنب هاتين الميزتين) تمورد يمتاز آخر انفردوا به عن كل من جاء من بعدهم، وهو رؤيتهم رسول الله ﷺ وجلوسهم إليه وسماعهم

منه. فكم من ضلالة انقشعت عن نفوس أصحابها لما جلسوا إلى رسول الله فسرحوا أعينهم في مظهره وسيماه، وأنصتوا إلى حديثه وشاهدوا جميل صفاته وأخلاقه.

لذا كان إيمانهم، بعد ذلك، تسليماً، وسكينة عمت جوانب نفوسهم، فلم يكونوا - كما قال ابن خلدون[1] - يقفون عند آية من المتشابهات، ولا يستعظمون نبأ قرآنياً حوى شيئاً من عجائب الغيبيات، ولا يتساءلون عن شيء من ذلك بـ (كيف؟) أو (لماذا؟)، بل كانوا يفرون من الخبرة عند المتشابهات إلى ما يقابلها من المحكمات، وكانت عظمة رسول الله التي فاضت بها قلوبهم، تحملهم على ألا يستعظموا من يعده أي نبأ أخبرهم به عليه الصلاة والسلام، فما أيسر عليهم أن يقولوا بملء قلوبهم وعقولهم: سمعنا وصدقنا. وليس من حولهم من يشكو شبهة فلسفية أو بدعة مذهبية علقت بذهنه، حتى يضطرهم أمره إلى التبحث فيها ونقيضها بأصول البحث والنظر.

على أن كثيرا من أولي الصدارة في العلم في ذلك العصر، كانوا يرون أن التدخل في تفاصيل ما ورد به القرآن من الأمور الاعتقادية كالتنزيه وإثبات الصفات ونحو ذلك، شيء يتجاوز حدود العقل وطاقته، فلا يمكن أن يصل إليه الإنسان إلا بأن يقيس الله على نفسه، وذلك منبع لأخطار كثيرة[2]، فكانوا يغلقون السبيل في وجه كل من شاء أن يستثير الأفكار للبحث في هذه الأمور، على قلة من كان يبحث فيها في ذلك العصر، وقد علمت أن مالك بن أنس رضي الله عنه لما سئل عن معنى الاستواء في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون: ٢٢٦، طبولاق.

(٢) ضحى الإسلام لأحمد أمين: ٣/١٥.

قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

ولكن الأمر لم يستمر على هذه الحال فيما بعد.

فقد نشأت عوامل مختلفة، أجبرت كثيراً من المتصدّرين للدّعوة إلى دين الله، وتجنيه مبادئ العقيدة الإسلامية في أذهان الناس، إلى أن يضيفوا إلى المسلكين الأولين المسلك الثالث، وهو الذي سلكه علماء الكلام فيما بعد. ولعلّ أهم العوامل التي دعت إلى هذا المسلك:

أولاً – إن كثيراً ممن دخلوا في الإسلام بعد الفتح، كانوا من ديانات مختلفة كاليهودية والنصرانية والمانوية والزرادشتية، والبراهمة والصابئة.. إلخ وكان فيهم كثير من علماء ديانتهم، فلما ركنوا إلى الإسلام ودرسوا أحكامه وتعاليمه أخذوا يفكرون في تعاليم دينهم القديم، ويقارنون بينه وبين الإسلام، فكان ذلك مثار حديث وجدل لدى كثير من الناس، إذ التطبع والفكر الإنساني يدفعان في مثل هذه الحال إلى المقارنة، واستثارة وجوه التشابه والخلاف، والتعمق في إبراز مزايا ما يُرى أنه الحق، وهو شيء يدفع ولا ريب إلى النظر والنقاش.

ولا نستبعد أن يكون في أولئك الذين تحولوا عن أديانهم إلى الإسلام من كان لا يزال مفتوناً ومعجباً ببعض ما في دينه القديم، فكان يثير أسباب الحديث عنه في المجالس، ويكسوه لباس الإسلام ويقوم بالدفاع عنه بتلك الحجة، ولكنه لا يشكّل ظاهرة عامة في ذلك كما يدلّ عليه كلام أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام، وإن وقع شيء من ذلك بشكل جزئي وهو أمر طبيعي ومفروض الوقوع[1].

ثانياً – إن الفتح الإسلامي، كان أساساً لنشأة حضارة متكاملة المرافق

---

(١) انظر: ضحى الإسلام: ١/٧.

والأركان. وقد كانت المعرفة بفروعها المختلفة الدعامة الأولى فيها. فأعقب ذلك قيام حلقات العلم والبحث في شتى المسائل والموضوعات الدينية والأدبية وغيرها. وعكف القوم على تدوين ما يتلقون إليه من أئمة محادثاتهم ومناقشاتهم. فلم يكن بدّاً عندئذ من الخوض في المتشابهات. والبحث في غوامض الآيات. وهو أمر يستدعي الاجتهاد. ومن شأن الاجتهاد أن يوصل إلى الخلاف. ومن الطبيعي أن ينهض كل من الأطراف المتخالفة إلى الاستدلال والحجاج لدعم ما يرى أنه الحق.

وتلك ظاهرة تفرض نفسها على جميع الأمم والشعوب لدى صعودها في مدارج الحضارة. وعند اتساع منطقتها الفكري والثقافي والسياسي.

ثالثاً – كان من آثار اتساع الفتوحات الإسلامية وانتشار الدعوة الإسلامية في ربوع الأرض. أن دخلت الآلاف بل الملايين في دين الله أفواجاً. وقد كانوا – كما هو معلوم – ينتمون إلى حضارات ويتمتعون بثقافات مختلفة. فضلاً عما كانوا يتصفون به من أمزجة وأخلاق متفاوتة متنوعة. فظهر فيما بينهم زنادقة أضمروا الباطل الذي كانوا يتبنونه ومتزوه بظاهر من الإسلام والانقياد لأحكامه. ثم أخذوا يدسّون باطلهم. بدعاية من العلم والمنطق كلما سنحت لهم الفرصة. وقد ذكر الشهرستاني أمثلة كثيرة لهؤلاء. منهم – على سبيل المثال – أحمد بن خابط. الذي كان يقول بالتناسخ مثل ما يقوله البراهمة. ويقول في المسيح عليه الصلاة والسلام قولاً يشبه قول النصارى[1].

وقد اقتضى ذلك أن يتصدى لهم علماء المسلمين فيكشفوا للناس زيفهم ويجردوهم مما يصطنعونه. خداعاً. من الحجج والبراهين الكاذبة. وذلك يستوجب. لا محالة. نوعاً من الحجاج والاعتماد على المنطق. لم يكن موجوداً فيما بينهم من قبل.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ١/٧٧. على هامش الملل لابن حزم.

رابعاً – أحسّ كثير من علماء المسلمين والمتجردين لبيان العقائد الإسلامية والدفاع عنها، بالحاجة إلى الوقوف على المصادر التي يستقي منها الزنادقة وكبار الشبهات حججهم وصناعتهم الجدلية، كي يجادلوهم بمثل حججهم، ويظهروا لهم ولكل الآخرين تهافتها وبطلانها، أو يبينوا لهم عدم دلالتها على ما يزعمون من باطل. فاقتضاهم ذلك أن يقرؤوا الفلسفة اليونانية ويطلعوا على المنطق الأرسطاطاليسي وغيره، وأن يمعنوا النظر والفكر في أقوال هؤلاء المبطلين.

فبهذا الدافع درس (النظّام) منطق أرسطو ثم ردّ عليه، ودرس أبو الهذيل العلاف أصول الفلسفة اليونانية ثم اشتغل بإبطالها، وعكف كثير من المعتزلة على دراسة كثير من نظريات الفلاسفة واصطلاحاتهم: كحدوثهم عن الطفرة والتوالد والجوهر، والجوهر الفرد، ثم اشتغلوا بالردّ على ذلك كله.

خامساً – (وهذا العامل يمثل روح العوامل الأربعة السابقة والمنهج إليها) ما تشبع به علماء المسلمين، بدءاً من عصر الصحابة، من التوجيهات القرآنية التي تدعو المسلمين إلى بذل كل جهد للنهوض بأعباء الدعوة الإسلامية؛ وتخطط لهم أصول تلك الدعوة، من مجادلة تلك المذاهب طبق مبدئها المرعية إذا اقتضى الأمر ذلك؛ بل لقد درّبهم القرآن على أكثر من ذلك، إذ وضع أمام أفكارهم نماذج من كيفية استعمال المنطق وأصول النظر في الكشف عن أخابيل المبطلين، وتعرية مقاصدهم وأهدافهم كلما دعا الداعي إلى ذلك.

من ذلك ما نراه من برهان التمانع في قوله تعالى: ﴿لَوْكَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ومنه ما نراه من برهان بطلان الدور والترجيح بدون مرجح في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ – ٣٦].

ومنه ما نراه من برهان القياس بجامع العلة المشتركة في قوله تعالى وهو يردّ على منكري الحشر: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقوله تعالى وهو يرد على النصارى توهمهم عن المسيح عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ومنه ما نراه من مظهر المحاكمة الفكرية في طريق البحث عن الصانع والكون في حديثه جل جلاله عن سيدنا إبراهيم، بدءاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

فهذه الآيات، وأمثالها في القرآن الكريم، تروض العقول المسلمين وأفكارهم على النقاش والحجاج في طريق الكشف عن الحق وتجليته أمام بصائر أولي النهى، كلما دعا الأمر إلى ذلك.

ولا ريب أن المسلمين قرؤوا بهذه الأساليب القرآنية تدريجاً، وحصلوا منها على ملكة أقدرتهم على رسم مناهج النظر، وكيفية الجدال مع المبطلين. ثم إنهم وجدوا فيها الدعوة الصريحة لهم إلى عدم الاكتفاء بما يتمتعون به من نعمة الفطرة الإسلامية الأصيلة، التي أغنتهم عن تكلف النظر في براهين المنطق وموازين الفلسفة، بصدد دعوة غيرهم إلى الإسلام، بل أمرهم الله تعالى أن يجابهوا فئات الناس كلا حسب عقليته وما قد يحمله من شبه ومشكلات. وهذا من بعض ما تضمنه قوله ﷺ: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله»[1].

---

(١) رواه البخاري موقوفاً على علي رضي الله عنه، ورفعه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم.

فهذه هي أهم العوامل التي دعت المسلمين، بعد استقرار الفتح الإسلامي إلى أن يتجاوزوا المسلكين الأول والثاني في طريق التبصير بالعقائد الإسلامية والدفاع عنها ويقتحموا المسلك الثالث، الذي التقى عليه فيما بعد كل من علماء الكلام والفلسفة الإسلامية، ومن أتباعهم لهذا المسلك الثالث، الذي سبق أن عرفنا به، نشأ وتكامل علم الكلام.

ولكن ما هو علم الكلام؟ وما هو مدى شرعيته، في مجال الدعوة إلى الله والتبصير بحقائق الإسلام؟ هذا ما حان وقت الإجابة عنه بعون الله وتوفيقه.

تعريف علم الكلام وتقويمه

أرى أن خير تعريف له ما عرفه به ابن خلدون في مقدمته إذ قال:

«هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة».

ولدي تأملنا في هذا التعريف له، ندرك أن مضمون هذا العلم يختلف حسب اختلاف الشبهات المقارنة والتيارات المستجدة، فكل مجابهة لأي انحراف اعتقادي أو لأي بدعة فكرية مهما تنوعت، بالأدلة العقلية، داخل في ماهية علم الكلام، وعلى هذا فإن التصدي لشبهات الفلسفة المادية القائمة اليوم أو للنظريات المتعارضة مع حقائق الدين الإسلامي، بالمنطق وموازين النظر العقلي من صميم علم الكلام.

ولكن لماذا سمي بعلم الكلام؟

يفهم مما قاله الغزالي في صدر كتابه (إحياء علوم الدين) أنه إنما سمي بذلك، لأن بضاعة الكلام وتشقيقه والتصنيع فيه، تكاد تكون رأس مال هذا العلم وسلاحه. فقد عُرف أهل الجدل في العقائد بكثرة الكلام، والإسهاب فيه، محققين

كانوا أم مبطلين[1].

وذهب كثيرون إلى أنه من قبيل تسمية الكل باسم جزئه لأهمية ذلك الجزء؛ إذ لما كان البحث في كلام الله عز وجل، وهل هو مخلوق أم قديم، وما يطوف بذلك من أدلة وحجاج، من أكثر ما أفاض فيه علماء هذا الفن، وأطالوا فيه، حتى نتجت من جراء ذلك فتن ومشكلات تجاوزت الإطار الديني إلى التيارات السياسية سمي مجموع هذا العلم بعلم الكلام.

ويرجح أحمد أمين أن إطلاق هذا الاسم عليه كان في عصر المأمون: «فقد رأينا أنه قبل ذلك كان يسمى البحث في مثل هذه الموضوعات (الفقه في الدين) نظير (الفقه في العلم) فقالوا: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم» وسمى أبو حنيفة كتابه في العقيدة: (الفقه الأكبر)»[2].

ويؤيده ما ذكره الشهرستاني في الملل في هذا الصدد حيث قال: «ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فنا من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام»[3].

أما عن أهمية هذا العلم وقيمته ومدى الحاجة إليه، فنقول:

أولاً – لا وجه – بعد الذي أوضحناه – لحصر المنهج القرآني في كل من المسلكين الأول والثاني اللذين ذكرناهما، كما يرى بعض الكاتبين، فقد علمت أن الذي اقتضى احتفال القرآن باستثارة نوازع الفطرة وتحكيم الأدلة العقلية العامة والقريبة المتناول: إنما هو واقع المشركين في مكة حيث ظل القرآن ينزل ثلاثة عشر

---

(١) انظر حاشية على الدين: ١/٣٣.

(٢) فجر الإسلام: ٣/١٠.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني: ١/٢٠.

عاما يعالج أمور الاعتقاد والتيسير بحقائق الكون والإنسان والحياة. على أنه روّض عقول المسلمين كما رأينا على مجابهة الخاصمين بالحجاج والجدال، كل حسب حاله ومن خلال الشبه التي أقبلت إليه الشكوك والشبه منها.

فقد غدت المسائل الثلاثة إذن، مسائل قرآنية، خاضعة لمنهج القرآن في الدعوة إلى الله وتجلية عقائد الإسلام، بشرط واحد، هو أن يُستعمل كل منها في المكان المناسب وطبقا للحاجة الداعية، دون تشدق وتنطع، ودون تقصير وإهمال.

أي فاستثارة الفطرة، حيث تجتمع الشبه العقلية والفلسفية في العقل وتنقله عن التحرك سعياً وراء الفطرة، عبث لا يأتي بطائل. واصطناع المعارك العقلية للرد على شبه عقلية لا وجود لها في المجتمع أو بين الجماعة التي يثار الحديث عنها فيما بينهم تتبع منهج وتضييع للوقت.

ثانيا – لقد عرض الإمام الغزالي ليبان قيمة هذا العلم، ومدى أهميته، فعرض لرأي من استنكره وحذّر منه، وأكّد عدم الحاجة إليه، ثم أوضح رأي من حبذه ودعا إليه ولفت النظر إلى شدة حاجة المسلمين له، ثم ذكر رأيه الذي يعتمده في ذلك[1].

وقبل أن أوضح الرأي الذي يراه الغزالي في هذا العلم، أقول: لا أرى أيّ تعارض بين من استنكر علم الكلام والاشتغال به، ومن حبذه ودعا إليه، فإن الطرفين لم يحررا محلّ البحث والخلاف بينهما، ولو تحرر محل البحث في الموضوع لسقط الخلاف حول قيمة هذا العلم.

فقد كان من المستنكرين لهذا العلم الإمام الشافعي، وهو الذي نسب إليه قوله: «لأن يلقى الله عز وجل بكل ذنب ما خلا الشرك بالله، خير له من أن

---

(١) إحياء علوم الدين: ١/٩٦ فما بعد.

بشيء من علم الكلام».

وكان منهم أيضا الإمام أحمد والإمام مالك، وأبو يوسف وهو القائل: «من طلب العلم بالكلام تزندق».

غير أن جمهورا كبيرا من أصحاب الشافعي نفسه وأصحاب مالك وأبي حنيفة، ذهبوا إلى أن علم الكلام من الفروض الكفائية، وأنها ليست أقل أهمية من علم أصول الفقه ومصطلح الحديث، وعلوم القرآن، بل هو أشرفها جميعا، لتعلقه بأصول العقائد الإسلامية. واحتجوا بالآيات القرآنية التي تتضمن الحجاج والنقاش في أمور الاعتقادات، وتدعو المسلمين إلى دعوة الناس على أساسه. كما احتجوا بأن عليا رضي الله عنه، كان في مقدمة الصحابة الذين سلكوا دعوة المبتدعة، بالمجادلة، إلى الحق، فقد ناظر رضي الله عنه قدريا في القدر، وأرسل ابن عباس ليناظر أحد الخوارج، وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الإيمان. بل إن الشافعي ذاته أوتي قدرة على الجدل والمناظرة ما أوتي أحد في زمنه مثلها. ولقد كان يجادل ويناظر كلما اقتضى الأمر ذلك.

وحلّ هذا الخلاف، الذي نراه خلافاً في الظاهر فقط، أن الذين استنكروا علم الكلام، إنما حذروا من اتخاذه صنعة ودينا، والتطبع به بموجب وبدون موجب، وقد قال رسول الله ﷺ: «هلك المتطعون»[1]، على أنهم أنكروه قبل أن تشتد ضراوة الزندقة وتشيع شبهتهم في الناس. وهذا الاستنكار بهذا القيد ليس محل خلاف فحتى الذين ألفوا في علم الكلام واشتغلوا به كالإمام الباقلاني، حذروا من استعماله في غير حاجة إليه.

أما الذين استحبوه وعدوه من الفروض الكفائية، فإنما عدوه كذلك، بعد أن

---

(١) رواه مسلم.

شاعت الشبه والمشكلات. وبعد أن تغلب تيار التقاش والجدل حول آيات الصفات والآيات المتشابهة في المساجد وحلقات العلم، على التوازن الذي كان يجعل الناس يلجؤون إلى حمى السكينة الإيمانية والتسليم لمراد الله، كلما طرحت شبهة. فاستلزم الأمر إعداد العدة، وإفحام الباطل بسلاحه، وإمساكه بالحجة ذاتها التي يصطنعها دعاته. وهذا الاستحباب المقيد بهذا الحد لا نراه محل خلاف عند أحد الطرفين.

ثم إن الإمام الغزالي، أدلى بما يراه القول الفصل في حق هذا العلم، فقال كلاما طويلا أنقله ملخصا بألفاظه:

«إن فيه منفعة ومضرة، فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرته، في وقت الاستضرار ومحله، حرام. وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر، إذ لا يضعه إلا في موضعه، ووقته في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة.. ثم قال: وإن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له، لما فيه من الضرر الذي نبهنا إليه»[1].

أقول: وإن علم الكلام اليوم، في حدود الحاجة الماسة إلى التصدي لأسباب الزيغ وموجباته الحديثة، مما يلبس أردية المنطق والعلم، في الظاهر، من أشرف ما يجب على المسلمين الاشتغال به والانصراف إليه، وهو ضمن حدود الحاجة إليه داخل في صميم المنهج القرآني للتبصير بحقائق الإسلام وعقائده.

على أن هذا العلم لا نريد فائدته على كنس الوساوس الفكرية وطرد الشبه العقلية التي يخيل إلى من وقع في شراكها أنها حقائق ثابتة، أما تنمية اليقين بالله في

---

(١) إحياء علوم الدين: ١٠/٨٩.

القلب فعلاجه اتباع شيء آخر وراء هذا العلم، هو الاستمرار في التسعي إلى تزكية النفس من أوضارها عن طريق الإكثار من ذكر الله في الغدو والاصال، والإكثار من تلاوة القرآن، والعبادات، وتطهير اللقمة، والابتعاد جهد المستطاع عن ظلمات الاثام والمعاصي.

نشأة الفرق الإسلامية

وأنت تعلم أننا إنما نعني في هذا المقام تلك الفرق التي اختلفت بعضها عن بعض في أمور تتعلق بالاعتقاد، ولا شأن لنا في هذا الصدد بالمذاهب الفقهية التي يبحث فيها الفقهاء.

فنقول هنا باختصار: إن العوامل التي عددناها أسباباً لنشأة علم الكلام، هي بذاتها أسباب أساسية لنشأة الفرق الإسلامية، كالمعتزلة والمرجئة والجهمية والشيعة والخوارج و.. إلخ.

ذلك لأن مبادئ العقيدة إذا كانت محصنة بالتسليم القلبي ومكلوءة بحوافز الفطرة الإنسانية الأصيلة، وليس في العقل شيء من الشوشات والشبهات التي تفد عادة من خارج النفس لأسباب سبق أن ذكرنا طرفاً منها – فإن شيئاً من عوامل الخلاف لا يتسرب إلى من هذا شأنهم وحالتهم، إذ الخلاف يأتي نتيجة التعمق في الشيء، بحيث يتجاوز البحث ظواهره البدهية، إلى بواطنه الظنية، فإذا انتهى الباحثون إلى تلك البواطن، لم يؤمن عليهم من الاختلاف، نظراً لظنية أكثر الأدلة، وهو الأمر الذي لا يضمن معه الوصول إلى الاتفاق.

وليس من شأن أصحاب التسليم القلبي تجاوز الظواهر التي لا مجال للخلاف فيها، إذ إنهم ما إن يتنبهون إلى ما وراءها من غوامض ومشكلات، إلا ويضعون المسألة عن النظر ويغلقون باب التأمل الفكري فيها، مسلمين الأمر إلى الله عز

وجل، ثم يعودون إلى الاستمساك بالجذع الأساسيّ والظواهر الكلية الواضحة التي لا مجال لنشوب الخلاف حولها.

وتلك هي حالة أصحاب رسول الله ﷺ في صدر الإسلام. ولو استمر الأمر على تلك الحال، لما تسلل أي خلاف ولما ظهرت فرق أو مذاهب مختلفة.

ولكن لما ظهرت العوامل الخمسة التي عددناها، عند البحث في أسباب نشأة علم الكلام، انساق جمهرة العلماء من بقايا الصحابة وجل التابعين، بدون اختيار منهم، إلى مجاوزة ظواهر الحقائق الاعتقادية وظواهر نصوصها، نحو التأمل والبحث في بواطنها الخفية أو القابلة للنظر والبحث، كما انساق كثير من العلماء إلى العكوف على دراسة الفلسفة اليونانية، أو على دراسة الشبه الفكرية والعقلية عموماً، فاضطرهم الحال إلى البحث في كثير من دقائق الأمور الاعتقادية التي كانوا في غنى عن بحثها والنظر فيها، لو سلمت لهم الحال السابقة، فنشأ من جراء ذلك قرن الخلاف، وظهرت الفرق التي أشرنا إليها.

ويضيف بعض الباحثين، ولاسيما المحدثون منهم، إلى هذه العوامل التي أشرنا إليها، عاملاً آخر، لم نتحدث عنه بصدد تعداد عوامل نشأة علم الكلام، إذ لا علاقة له به في الحقيقة؛ وهو العامل السياسي الذي تمثل في الخلاف الذي نشأ حول أمر الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، فقد استتبع النظر في ذلك الأمر السياسي[1] خلافات حول أمر الإمامة والأولى بها، كما تفرعت عن ذلك خلافات فرعية أخرى، استقطبت مذاهب أضيفت إلى المذاهب الإسلامية.

---

(١) هكذا يسميه الكثير الكاثر المجدد (أمراً سياسياً) وهو سمعه أمراً سياسياً فقلب مع الغيرة الحارة إلى مسألة الإمامة والخلافة. ولكن هذا الأمر في جوهره، وفي العصر الذي ظهر فيه أمر ديني بحت، إنه يكاد يحصر في رجل الذين اجتمعوا في السقيفة بضعة وعشرة، أنهم يقررون أمراً سياسياً، وإنما اجتمعوا ليرجعوا إلى قواعد عهدا دينية يتحملون مسؤوليتها عند الله عز وجل.

ولا نرى علاقة لهذه المذاهب بما نحن في صدده من بيان أسباب نشأة الفرق الإسلامية التي اختلفت فيما بينها ضمن نطاق المسائل الاعتقادية المتعلقة بأصول الدين.

ثم إن الفرق الإسلامية التي نشأت على أعقاب البحث في غوامض المسائل الاعتقادية ودقائقها، إنما تفرعت عن المذهب الأساسي الأول الذي كان ولا يزال يمثل جمهور المسلمين في عصر الصحابة وصدر عصر التابعين، وهو المذهب الذي أطلق عليه فيما بعد مذهب أهل السنة والجماعة، ويمثله الأشاعرة والماتريدية، إذ الخلاف بين هذين الفريقين، جزئي لا أهمية له، فهما في حكم المذهب الواحد.

لذا فقد ظل المذهب الذي يمثل أهل السنة والجماعة، عنوان على الحق الذي التقى عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وسلف هذه الأمة، وكان أصحابه ولا يزالون هم سواد هذه الأمة وغالبيتها العظمى.

أما تلك الفرق التي تفرعت عنه، كالمعتزلة والمرجئة والقدرية وغيرهم، فقد انفصلت عن جماهير أهل السنة والجماعة، كما تنفصل الجداول الصغيرة المتفرعة عن النهر الكبير.

ولا يفوتنا هنا أن نلفت النظر إلى سياسة الاستشراق والمستشرقين اليوم، حيال هذه الفرق الجزئية الصغيرة؛ فهي تضع نصب أعينها ضرورة التنويه بها والدعوة إليها، وإبراز تراجم رجالها في إطار من الإجلال وعبارات الإعجاب، أملا في أن تحيا الخلافات التي نشأت فيما بينها من جديد، وأن يلقى كل منها شيعة وأتباعا، فيتبدد فيما بينها الخيط العريض الذي كانت ولا تزال تلتقي عليه جماهير المسلمين، أهل السنة والجماعة، عسى أن يتحول أمر العقيدة الإسلامية الجامعة إلى محل متخاصمة متعادية كما هو الشأن بالنسبة للديانة المسيحية اليوم.

ومع ذلك، فسندرس أهم هذه الفرق، ونقف على نقاط الخلاف فيما بينها.

لنتبين من خلالها السبب الذي من أجله كان مذهب أهل السنة والجماعة هو المستقطب لسواد المسلمين في كل زمان ومكان. ولندرك كيف أن هذا المذهب إنما كان استمرارا مستقيما لما تركه عليه سيدنا محمد ﷺ أصحابه. فقد كان ولا يزال أبعدها عن غلواء الفلسفة والتأثر بها، وأقربها إلى التمسك بما كان عليه السلف دون انحراف إلى تجسيم ولا تشبيه ولا تعطيل.